المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى

على إمارات الخليج العربى

للدكتور جمال زكريا قاسم

سنعنى فى هذه الدراسة بتتبع تأثيرات الحرب العالمية الأولى على امارات الخليج العربى ، تلك التأثيرات التى نجمت عن مؤثرات فعالة كان أبرزها محاولة بريطانيا فرض سيطرتها على امارات الخليج منتهزة فرصة اعلان الدولة العثمانية الحرب عليها كى تطيح بسيادتها على الأجزاء الشمالية من الخليج ، تلك السيادة التى كانت مقررة للدولة العثمانية بمقتضى الاتفاق الانجليزى ــ التركى الذى عقد بين الحكومتين فى ٢٩ يولية ١٩١٣ (١).

وعلى الرغم من أن بريطانيا قد نجحت فى اقصاء القوى الأوروبية وكذلك الدولة العثمانية من التطلع الى الخليج الا أن المجال لم يلبث أن ترك مفتوحا بالنسبة لعلاقاتها مع القوى المحلية ، حقيقة ان بريطانيا قد استطاعت فى السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى فى ربط هذه القوى بعجلة سياستها ، الا أن ظروف الحرب كانت العامل الفعال فى احكام هذه العلاقات ، ولذلك كان أهم ما يشغل اهتمام الحكومة البريطانية طيلة سنوات الحرب هو العمل على النفاذ الى هذه القوى وتوجيهها فى اتجاه سياسى موحد خدمة لمصالحها مما يترتب عليه فصلها التام عن أى تعاون مع أية دولة أجنبية وعلى وجه التحديد الدولة العثمانية التى كانت تحاول التأثير على هذه الامارات بثقلها الروحى تحت شعار حركة الجهاد الدينى .

ولما قامت الثورة العربية بزعامة الشريف حسين سعت الحكومة البريطانية للعمل على تأمين هذه الحركة وذلك بالحصول على تأييد الزعماء العرب فى الجزيرة

---

(١) انظر نص هذا الاتفاق فى كل من : Huerwitz, Diplomacy in the Near and Middle East vol I PP. 269 FF, Gooch and Temperley : British Documents on the Origins of the War vol X Part II P. 190 FF.

العربية والخليج العربى وفى أعقاب الحرب عملت على اقرار الهدوء فى علاقات الامارات العربية بعضها بالبعض الآخر وتم لها ذلك بالفعل بموجب سلسلة من التسويات خصصتها لتخطيط الحدود بين تلك الامارات .

وفى خلال الحرب اعدت الحكومة البريطانية دليلا خاصا للخليج والجزيرة العربية وضعه القسم الجغرافى فى ادارة المخابرات الحربية للاميرالية تحت اشراف جورج هوجارث[١] وهو احد الخبراء فى الشئون العربية وذلك لأن الحكومة البريطانية شعرت بالحاجة الى استعراض للأوضاع يكون أكثر شمولا من أى استعراض آخر وضع حتى ذلك الحين .. وقد وضع المجلد الرئيسى لدليل الاميرالية فى متناول الرجال الرسميين فى عام ١٩١٦ وفى متناول الجمهور فى عام ١٩٢٠ وقسم الدليل شبه جزيرة العرب الى ثلاثة أقسام ، الأجزاء الداخلية وهى مستقلة من أقصاها الى أقصاها أما عن القسمين الغربى والشرقى فيخضعان فى معظمهما للحماية البريطانية وركز الدليل بصفة خاصة على الأجزاء الخارجة عن نطاق الحماية البريطانية مما يوضح النفوذ الذى حاولت الحكومة البريطانية أن تصل اليه فى المناطق الداخلية وهى المناطق التى كانت لا تهتم بها عادة فى الماضى[٢] . وقد استطاعت الحكومة البريطانية أن تصل الى ذلك النفوذ لأنها لم تترك أميرا من أمراء العرب الا استمالته ، وعقدت محالفة معه وقد نجحت فى ذلك مع جميع الأمراء العرب تقريبا ولم يخرج من يدها سوى ابن الرشيد فى حائل والامام يحيى فى اليمن .. وعلى الرغم من أن المعاهدات التى عقدتها بريطانيا مع الرؤساء العرب فى الخليج وسواحل الجزيرة العربية ظلت فى نطاقها السلبى أكثر من كونها ايجابية اذ أنها لم تفدها فى محاربة الدولة العثمانية الا أنها استفادت منها مع ذلك فى منع هذه الامارات ورؤسائها من الانضمام الى الأتراك وفى توطيد نفوذها السياسى على سواحل الجزيرة العربية بأسرها .

وعند نشوب الحرب وازدياد احتمال دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب ألمانيا كانت أهم المشكلات التى واجهت الحكومة البريطانية الدفاع عن حقول البترول ومعامل التكرير البريطانية فى جنوب فارس وحماية خطوط

---

(١) CF The penetration of Arabia « A Record of Western Knowledge Concerning Arabian peninsula », London 1904 See also History of Arabia Oxford, 1922.

(٢) cf. British Admiralty, A Handbook of Arabia Vol I General

الانابيب الموصلة بينهما كما كان على الحكومة البريطانية تقديم حمايتها لشيوخ الخليج المتعاقدين معها والذين أصبحوا مهددين بابتلاع الدولة العثمانية لهم فى حالة دخولها الحرب ضـد بريطانيا وكان أكثر الامارات العربية تعرضا لهذه الأخطار الامارات الواقعة فى شمال الخليج وهى امارة المحمرة التى كان يحكمها الشيخ خزعل خان وعلى الرغم من أنه كان يمارس نفوذا فعليا فى امارته الا أنه كان يخضع للحكومة الفارسية من الناحية الاسمية وكذلك امارة الكويت التى كان يحكمها الشيخ مبارك بن الصـباح الذى كان لا يزال خاضعا للسيادة العثمانية من الناحية الاسمية وان كانت ظروف علاقته ببريطانيا جعلت من مشيخته امارة مستقلة تحت الحماية البريطانية[١] وقد تأكد وضعه هذا بصفة قاطعة بمقتضى التبليغ البريطانى[٢] الذى وجه اليه عقب اعلان الدولة العثمانية الحرب على بريطانيا مباشرة وسوف نشير اليه فيما بعد .

ومما يستلفت النظر أن بريطانيا لم تكن تخش على مركز الشيوخ الخاضعين لحمايتها فى جنوب الخليج بعكس شيوخ الامارات الواقعة فى الشمال لأن وضع الشيوخ الأول كان مؤمنا بتصاعد قوة عبد العزيز آل سعود امير نجد الذى أصبح بعد استيلائه على الاحساء فى عام ١٩١٣ يشكل قوة عازلة بين هؤلاء الشيوخ القابعين فى الجنوب وبين النفوذ العثمانى فى الشمال وان كانت حكومة الهند قد أضحت مع ذلك فى حالة قلق متزايد من احتمال توسعه فى الخليج على حساب هذه الامارات مما استوجب اقرار العلاقة بينها وبينه محافظة على الأوضاع الراهنة[٣] .

وقد لاحظ المراقبون السياسيون والعسكريون أن شيخى المحمرة والكويت يمكن أن يتعرضا أكثر من غيرهما للتهديد العثمانى الذى قد يؤدى الى ضياع النفوذ البريطانى أو التشكيك فيه على الأقل ولذلك رجح الرأى بضرورة ارسال حاميات عسكرية للتركز فى شمال الخليج خاصة وأن بريطانيا كانت تخشى من

---

(١) راجع فى ذلك الاتفاقية الانجليزية الكويتية ١٨٩٩ ، وكذلك الاتفاق الانجليزى التركى ١٩١٣ Cf. gooch and Temperley, op. cit. Vol X Part II P. 190.

(٢) cf. Huerwitz, op. cit. Vol II P. 4

(٣) Marlowe, The persian gulf in the Twentieth Century P. 44.

انتشار دعوى الجهاد التى أعلنها السلطان العثمانى مثيرا بذلك رعاياها المسلمين فى الهند والخليج العربى[١] .

والجدير بالذكر ان نشوب الحرب كان فرصة لبريطانيا لتدعيم نفوذها فى منطقة الخليج العربى ، ذلك النفوذ الذى حاولت تأكيده ونجحت فى ذلك الى حد كبير فى السنوات السابقة للحرب ، لقد تعرضت بريطانيا فى خلال هذه السنوات لمنافسات خارجية شديدة الوطأة من قبل الفرنسيين والألمان والروس [٢] واذا كانت بريطانيا قد استطاعت التخلص من روسيا بعد عقد تسوية ١٩٠٧ فانها ركزت جهودها بعد ذلك على التخلص من المنافسة الفرنسية وبخاصة فى سلطنة مسقط ... قد يكون حقيقة أن الاتفاق الودى ١٩٠٤ خفف الى حد كبير من اخطار المنافسة الانجليزية الفرنسية الا أن هذا التنافس استمر مع ذلك قائما الى الشهور القليلة التى سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى ومع ذلك فقد استطاعت انجلترا باقتراب الحرب القضـــاء على آخر نشاط فرنسى فى مسقط بوصولها الى اتفاق مع الحكومة الفرنسية كان يقضى بموافقتها على الغاء المعاهدة التى كانت تربطها بسلطنة مسقط والتى يرجع تاريخها الى عام ١٨٤٤ [٣] ومن المعروف أن هذه المعاهدة كانت تكأة للنشاط الفرنسى فى مسقط[٤] الذى ظهر بصفة خاصة فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى فرنسة السفن العثمانية وفى تجارة الأسلحة[٥] ، واذا كانت المشكلة الأولى قد حلت بمقتضى التحكيم بلاهاى فى عام ١٩٠٥ [٦] فان تجارة الأسلحة استمرت

---

(١) Philip Graves, The life of sir Percy Cox P. 178.

(٢) راجع كتابنا « الخليج العربى » الباب الثالث التنافس الأوربى فى الخليج العربى .

(٣) راجع كتابنا « دولة بوسعيد فى عمان وزنجبار » العلاقات الخارجية لسعيد بن سلطان ، الفصل العاشر ص ٢٠٧

(٤) Rolandshay, India under Curzon and After vol. III P. 47

(٥) cf. Memorandum Grant of French Flags to Mascat Dhows P. 2 India Office political and secret library Confidential 8574 B. 134. See also Arms Traffic at Muskat B. 182.

(٦) راجع محكمة العدل الدولية بلاهاى يونيو ١٩٠٥ فى :
Revue de droit Internationale Tome 131, 1906 P. 145

قائمة الى أن ألغيت المعاهدة الفرنسية ـ المسقطية فى يناير ١٩١٤[١] وقبلت الحكومة الفرنسية أن تسلم بالغائها نظير تعويض دفعته الحكومة الانجليزية للتجار الفرنسيين المشتغلين بتجارة الأسلحة . ومن المؤكد أن فرنسا قد أخذت بوجهة النظر الانجليزية فيما تشكله هذه التجارة من خطورة على مستعمراتها فى آسيا وافريقيا [٢] فضلا عن أن ظروف الحرب اقتضت نوعا من التضامن بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية ورضيت فرنسا أن تسلم أخيرا بنفوذ بريطانيا فى منطقة الخليج العربى . ومع ذلك فقد شهدت الفترة السابقة لاعلان الحرب كثرة المبعوثين السريين الذين توافدوا على الخليج والجزيرة العربية من انجليز وألمان وفرنسيين وروس وعثمانيين وغيرهم همهم البحث عن حلفاء ينضمون الى جانب دولهم عند قيام الحرب .

وعلى الرغم من أن النفوذ البريطانى فى شمال الخليج لم يكن بنفس الدرجة التى كان عليها فى الجنوب الا أن بريطانيا استطاعت فى السنوات السابقة لقيام الحرب التغلغل فى شمال الخليج وكان الرؤساء العرب وهم خزعل خان ومبارك بن الصباح وعبد العزيز آل سعود بالاضافة الى رؤساء العشائر العربية والفارسية فى جنوب فارس مهيئين للصداقة البريطانية ، وتمثل امارة المحمرة التى كان يحكمها الشيخ خزعل أهمية خاصة فأنابيب البترول التابعة لشركة النفط الانجليزية الفارسية تمر بأراضيها ، كما أن امارة الكويت تقع خلف خطوط الحملة التى تقرر ارسالها لاحتلال العراق ، كما وطدت بريطانيا علاقتها بالرؤساء الآخرين فى الجزيرة العربية والملاحظ أن بريطانيا ردت على اعلان الدولة العثمانية الجهاد الدينى بنشاط كبير لمحو أثره وتفادى خطره على موقف الحلفاء فاتصلت به اسطة رسلها الذين وزعتهم فى مختلف أنحاء الخليج والجزيرة العربية بكل من ابن سعود أمير نجد والشيخ مبارك حاكم الكويت والأمير الادريسى حاكم عسير والشيخ خزعل الذى وعدته بتعيينه واليا على البصرة والجدير بالذكر أن هؤلاء الرؤساء لم يكونوا بمعزل عن الحركة العربية التى اتخذت مركزها فى سوريا منذ عهد الاتحاديين من ذلك أن الشيخ مبارك بن الصباح كان مشتركا

---

(١) جان بيشون : بواعث الحرب العالمية الأولى فى الشرق الأدنى ص ٢٧

(٢) جريدة المقطم العدد ٧٥٣٨ فى ١٩١٤/١/١٣

مع السيد طالب النقيب والشيخ خزعل حاكم المحمرة فى زعامة فرع « لحزب الحرية والائتلاف » وكان هذا معارضا لحزب الاتحاد والترقى . وقد تأسس هذا الفرع فى البصرة أثر ثورة الاتحاديين الذين انتهجوا سياسة تعسفية ترمى الى مركزية الحكم واضعاف سيطرة شيوخ الخليج وكان كل من شيوخ الكويت والمحمرة والبحرين وغيرهم يجدون فى السيد طالب النقيب خير من يتولى مصالحهم ضد تعسف الادارة العثمانية ازاء العناصر غير التركية . والواقع أن انتهاج مبارك سياسة عدائية ضد الدولة العثمانية كانت سببا مباشرا فى تأليب الاتحاديين لشيخ المنتفق سعدون باشا لأن مبارك لم يكن حائزا على ثقة عمال الدولة[١] وفى أثناء انشغال الدولة العثمانية بحرب البلقان فى عام ١٩١٣ ظهر نجاح زعماء حزب الحرية والائتلاف فى البصرة فى عقد مؤتمر عربى فى امارة المحمرة[٢] حضرة الشيخ خزعل والشيخ مبارك والسيد طالب النقيب ودار فى هذا المؤتمر البحث حول مستقبل العراق ووصل المجتمعون الى أن يبذل كل من الرؤساء جهده لتحقيق مطالب العراق فى الاستقلال ، وفيما يبدو أن هذا المؤتمر كان يهدف الى اقرار أحد من أولئك الزعماء بتولى حكم العراق [٣] ويبدو أن الحكومة البريطانية كانت تعلم بذلك ان لم يكن قد تم هذا تحت اشرافها وبتشجيع منها[٤] وقد نجد من المناسب أن نعرض لمؤتمر آخر اشترك فيه بعض أمراء العرب عقد حول ذلك الوقت أيضا على مقربة من الاحساء وعرف باسم مؤتمر جزيرة العرب وفيه تباحث مندوبو الرؤساء فى وسائل المحافظة على الأمارات العربية فى الخليج ومطالبة الدولة العثمانية بالاصلاح[٥] ولعل هذه الملامح التى أشرنا اليها تؤكد تماما أن امارات الخليج وخاصة الامارات الشمالية لم تكن بمعزل عن الحركة العربية التى ظهرت حول ذلك الوقت والتى كانت تطالب الدولة العثمانية بالاصلاح وتحقيق اللامركزية فى الحكم بل أن حركة الأمير عبد العزيز آل سعود اذا نظرنا اليها من وجهة الحركة العربية نجد أنها

---

(١) الريحانى ـ تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص ١٨٤/١٨٩

(٢) دروزة ـ حول الحركة العربية الحديثة جـ ١ ص ٣٤

(٣) Ireland, Iraq P. 233

(٤) الشملان ـ من تاريخ الكويت ص ٢٧١

(٥) جريدة الاصلاح ـ مؤتمر جزيرة العرب بيروت العدد ١٩٨ : ١٩ تشرين الثانى ١٩١٣

كانت ترمى الى امتداد سيطرته على أنقاض السيطرة العثمانية المتداعية . وقد كتب عبد العزيز آل سعود الى شفيق كمالى باشا حاكم عسير يشرح له وجهة نظره فى تقسيم البلاد العربية الى دويلات مستقلة فى داخليتها على أن تكون فى نفس الوقت تابعة للدولة العثمانية وتحت سيادتها[١] .

ون هذا يتضح أن امارات الخليج العربى كانت متأثرة بدورها بتيار الحركة العربية مما حدا ببريطانيا الى العمل على احتضان هذه الحركة وتوجيهها الوجهة التى تريدها وتتفق مع مصلحتها خاصة فى هذه الظروف الملابسة لقيام الحرب وقد ركزت الحكومة البريطانية جهودها عند نشوب الحرب على ثلاثة رؤساء هم الشيخ مبارك والشيخ خزعل والسيد طالب النقيب وقد فشلت مفاوضاتها مع الأخير على الرغم من أنها وعدته بتعينه والياعلى البصرة لتمسكه بموقفه واصراره على عـدم تأمين حملة العراق أما الأميرين الآخرين فلم تكن هناك صعوبة فى اجتذابهما للسياسة البريطانية اذ سبق أن وعدهم الانجليز بالاستقلال التام بالنسبة للدولة العثمانية أو فارس الا أن المشـكلة كانت تتعلق بموقف رعاياهم وميل غالبيتهم للدولة العثمانية بدافع من شعورهم العاطفى لدولة الخلافة الاسلامية ذلك أن معظم العشائر فى جنوب فارس والعراق لم تقبل التعاون مع الانجليز كما تعرض شيخ الكويت والشيخ خزعل لردود فعل عنيفة من قبل الوطنيين الذين ساءهم انضمام شيوخهم الى جانب الانجليز .

وعلى الرغم من أن حركة الجهاد الدينى كانت تشكل خطورة كبيرة وكانت موضع حذر شديد من قبل المراقبين السياسيين من أمثال ايتشيسون الموكل بالشئون الخارجية من قبل حكومة الهند الا نأ السير يرسى كوكس المقيم السياسى فى الخليج كان من رأية أنه يمكن التغلب على خطورة هذه الحركة باحكام السيطرة البريطانية على الخليج وباستغلال الخلافات المذهبية والسياسية القائمة بين فارس والدولة العثمانية فى منع وصول القوات العثمانية الى المقاطعات الفارسية فى الجنوب ولذلك نستطيع أن نقول ان الحملة البريطانية التى تقرر ارسالها الى

---

(١) انظر مذكراتى فى بلاد العرب لوالى البصرة شفيق كمالى باشا ـ نشرت تباعا فى جريدة الأهرام فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ العدد ١٤٥١٠ وما يلى ذلك .

شط العرب كانت فى أحد أهدافها تعمل على حصر تيار الجهاد الدينى الى جانب حماية آبار البترول فى مسجد سليمان[١] الواقعة فى اقليم الأهواز والتى يربطها خط أنابيب بعبدان خاصة وأن البحرية البريطانية بدأت فى استخدامه للوقود وأصبح من الضرورات الهامة لكسب الحرب . وقد رأت القيادة البريطانية أنه لابد من احتلال ولاية البصرة مع جزء من أراضى فارس بهدف تأمين تلك الآبار بل أن الخطة البريطانية لم تلبث بعد ذلك أن امتدت الى احتلال العراق بأكمله لما قدره الخبراء العسكريون من امكان الاتصال بروسيا عبر أراضى الدولة العثمانية والوقوف معها ضد احتمال التقدم الألمانى التركى فى الاتجاه الشرقى عبر فارس والقوقاز الى الهند وأفغانستان وأواسط آسيا ، ومن المعروف أن هزيمة الانجليز فى كوت الامارة فى عام ١٩١٧ قد عطلت تحقيق هذه الأهداف ولذلك استمرت منطقة الخليج العربى مدة طويلة مجالا مفتوحا للصراع الدولى وخاصة فى فارس ، وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت تثق فى الشيخ خزعل الذى أعلن وقوفه الى جانبها وتنازل عن جزيرة عبادان[٢] لصالح شركة البترول الانجليزية الفارسية ، وعلى الرغم مما كانت تعلق عليه الحكومة البريطانية والشركة من أهمية بالغة فى المحافظة على الأوضاع الراهنة فى المنطقة الا أنها كانت مع ذلك تخشى من تأثر مركزه وكذلك مركز الشركة فى ناحيتين هامتين :

الأولى : احتمال تعرضه لعداء من قبائل البختيارى القاطنة فى جبال زاجروس الى الشمال الشرقى من خوزستان[٣] ومن المعروف أن هذه القبائل كانت تسبب الكثير من القلق والمتاعب لشركة البترول الانجليزية الفارسية وكذلك تسبب الكثير من الاضطرابات للشيخ خزعل ولذلك أخذت صلات الانجليز تتوثق بهذه القبائل التى كانت على استعداد للتعاون دوما مع أية دولة تزودها بالمال والسلاح وتحول دون خضوعها للحكومة المركزية فى طهران .

والثانية : تعرض ممتلكاته وأعوانه لعدوان من قبل الدولة العثمانية بعد اعلانه صراحة موقفه . ولهذه الأسباب بدأت القيادة البريطانية ترى أنه لتأمين

---

(١) اكتشف البترول فى هذه المنطقة فى عام ١٩٠٨

(٢) جزيرة صغيرة تقع فى وسط شط العرب .

(٣) Philip Graves op. cit P. 175.

مركز بريطانيا فى شمال الخليج وجنوب فارس ينبغى لها أن تسيطر على البصرة . وفى نهاية سبتمبر ١٩١٤ وافقت حكومة المستر أسكويث Asquith على ارسال حملة هندية الى الخليج العربى وذلك استنادا على المذكرة التى قدمها السيرآرثر هرتزل A. Hirtzel[١] من قسم الشئون السياسية بوزارة الهند فى ٢ سبتمبر ١٩١٤ والتى أكد فيها أن الدولة العثمانية ستنضم الى دول الوسط وأن المسألة لا تعـدو أن تكون مسألة وقت قبل أن تعلن الدولة العثمانية موقفها بصراحة ، وركز هرتزل على أنه من الخطورة ترك شـمال الخليج دون أحكام السيطرة البريطانية لما قد يؤدى اليه ذلك من نجاح الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا فى اثارة مسلمى الهند ضد الأمبراطورية البريطانية[٢] .

كانت هذه هى الظروف التى أدت الى حملة العراق المشهورة التى يطلق عليها اسم Indian force Expedition والتى يرمز لها اختصارا I. F. E. وعهد بقيادة هذه الحملة الى الكولونيل ديلامين Delamin وكان على هذه الحملة أن تعسكر فى جزيرة عبادان . وكان وجود الحملة من شأنه ادخال الطمأنينة لدى الشيوخ المحليين وزعماء القبائل فى جنوب فارس والعراق بحصولهم على الحماية البريطانية فى حالة تعرضهم لهجوم عثمانى وقد وصلت حملة ديلامين بالفعل الى منطقة شط العرب فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وعند وصولها فى ذلك التاريخ كانت الدولة العثمانية قد أعلنت الحرب على بريطانيا قبل ذلك بأيام قليلة ، وما أن أعلنت الحرب من جانب الدولة العثمانية حتى غادر القنصل البريطانى مدينة البصرة ملتجئا الى المحمرة التى اتخذت قاعدة من قواعد النفوذ البريطانى فى خلال سنوات الحرب العالمية الأولى[٣] .

من هذا يتضح أنحملة شط العرب كانت أمرا مقررا سواء أعلنت الدولة العثمانية الحرب أم لم تعلنها خاصة وأن النشاط الألمانى كان قد بلغ أقصى حد له فى جنوب فارس ، وقد رأت حكومة الهند أن تنتهز فرصـة اعلان الدولة

(١) انظر التقارير التى أعدها السير هرتزل والمستر باركر عن الأوضاع فى الخليج العربى فى الوثائق السياسية المتعلقة بأسباب الحرب العالمية الأولى المجلد العاشر الجزء الثانى ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) Philip Graves, The Life of sin Percy cox P. 178

(٣) Marlowe, op. cit. P. 44

العثمانية الحرب حتى تستميل اليها بصراحة أكثر شيوخ الامارات العربية فى شمال الخليج وقد اتضح ذلك بصفة خاصة بالنسبة لامارة الكويت فعلى الرغم من أنه حين نشبت الحرب لم تكن الامارة ملزمة بموقف معين نجاه بريطانيا الا أن الموقف قد تغير باعلان الدولة العثمانية الحرب اذ ظهر فى الكويت شيء من العطف على الدولة العثمانية وكان لابد فى هذه الحالة أن تتخذ الحكومة البريطانية موقفا حاسما ووضح ذلك فى التبليغ البريطانى الذى وجهه المقيم السياسى البريطانى فى الخليج السيربرسى كوكس الى الشيخ مبارك بن الصباح حاكم الكويت وتضمن ذلك التبليغ أن يعمل بالتعاون مع مشايخ العرب الموالين لبريطانيا لهدف أساسى هو تحرير البصرة من السيطرة التركية ويهاجمون لذلك أم القصر وصفران وبوبيان ويعملون أيضا على منع الامدادات التركية من الوصول الى البصرة الى جانب تأمين المعدات البريطانية وحماية المقيمين فى البصرة وممتلكاهم كما تعهدت الحكومة البريطانية من جانبها بتأمين شيخ الكويت ضد جميع الآثار التى يمكن أن تترتب على الهجوم الذى طلبت منه أن يقوم به فى صفوان وأم القصر وبوبيان الى جانب التعهد بعدم اعادة البصرة بعد تحريرها الى الحكومة التركية والاعتراف بأن مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية[١] الى جانب ضمانها ابقاء حدائق وبساتين النخيل التى فى حيازته وحيازة خلفائه فى منطقة الفاو معفاة من الضرائب بصفة دائمة[٢] .

وعقب هذا التبليغ اخذ الشيخ مبارك يعبىء قواته من البدو الذى كان يملك عليهم تأثيرا خاصا ضد احتمال غزو تركى لامارته وعلى الرغم من أنه لم يشتبك فى عمليات عسكرية ايجابية الا أن قواته كانت مهمة فى تأمين ظهر القوات الهندية فى المراحل الأولى من حملة العراق[٣] ، كما ظل الشيخ رغم المعارضة

---

(١) على الرغم من أن التبليغ البريطانى كان مؤقتا بظروف الحرب وكان من المفروض أن تنتهى صفة الحماية البريطانية للكويت عقب زوال الظروف الداعية اليها فقد استمرت بريطانيا محتفظة بذلك الوضع حتى عام ١٩٦١

(٢) الواقع أن التعهد الذى قدمته الحكومة البريطانية لكل من شيخ الكويت وشيخ المحمرة باعفاء مزارع نخيلهم فى الفاو وشط العرب من الضرائب اصبح معرضا بعد ذلك للنقد الشديد لأن الحكومة الوطنية التى قامت فى العراق على انقاض الحكومة التركية اخذت تمارس سلطتها فى فرض الضرائب على هذه المزارع.

(٣) Merlowe, op. cit. P. 74.

الوطنية ثابتا فى مساندة الانجليز فى احتلالهم للبصرة وأبدل العلم العثمانى الذى كان يرفعه على امارته وعلى ظهر سفنه بعلم كويتى خاص استجابة لتعليمات الحكومة البريطانية حتى يمكن لقواتها أن تميز بين أعلام الكويت الصديقة وبين الأعلام العثمانية المعادية[١] وتبع التبليغ البريطانى الى الكويت تبليغ آخر أعلنه السيربرسى كوكس غداة وصول الحملة إلى شط العرب للزعماء العرب القاطنين فى المنطقة فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ وذلك بهدف ايجاد جو مهيىء للحملة البريطانية التى كان عليها التقدم بعد ذلك من الفاو صوب البصرة بهدف احتلالها وقد جاء فى هذا التبليغ «ليكن معلوما لديكم أن الحكومة البريطانية اضطرت للدخول فى الحرب ضد الدولة العثمانية نتيجة لتحريض ألمانيا وقد اضطرت الحكومة البريطانية ازاء ذلك الى ارسال حملة الى شط العرب بغرض حماية تجارتها وأصدقائها وطرد القوات التركية المعتدية وليكن معلوما للجميع أن بريطانيا ليست فى نزاع مع السكان العرب القاطنين على شواطىء دجلة والفرات وعلى هؤلاء ألا يسمحوا للسفن التركية أن ترسو فى موانيهم وعليهم أيضا ألا يحملوا سلاحا لأنه من الصعب على القوات البريطانية أن تفرق بين العدو والصديق المسلح » . وكان من أثر التحركات العثمانية فى مقاطعة خوزستان والاهواز أن خشيت الحكومة البريطانية ما قد يترتب على ذلك من تهديد للمنشآت البترولية فى المنطقة فتقدمت فرقة من القوات الهندية من قارون الى الأهواز بهدف حماية هذه المستودعات من ناحية فضلا عن تقديم الحماية لشيخى الكويت والمحمرة والوقوف الى جانبهما ضد احتمال تقدم ألمانى تركى فى مياه الخليج ، وفيما يبدو أن الضغط العثمانى كان بالغا أشده لدرجة استنجد معها الشيخ خزعل بالمقيم السياسى فى الخليج فى رسالة بعثها اليه فى ١٠ نوفمبر ١٩١٤ كما كان على الحكومة البريطانية أن تعزز ضمانها بتقديم الحماية للزعماء العرب فى جنوب العراق ووعدهم بتخليصهم من الترك ومواصلة جهودها لطردهم من مقاطعات جنوب فارس الى جانب تقريرها احتلال ولاية البصرة .

---

(١) الفرحان : مختصر تاريخ الكويت ص ١٢٢ ، ويلاحظ أن الراية الكويتية الخاصة بدأت تستخدم منذ أن ضربت احدى المدرعات الحربية البريطانية سفينة كويتية لرفعها الراية العثمانية على اعتبار أنها من سفن الأعداء .

وقد ثار الوطنيون على الشيخ خزعل حاكم المحمرة لشده أزر الانجليز ضد الدولة العثمانية وفيما يرجح لدينا أن العثمانيين كانوا هم المحرضين لثورة السادة التى واجهها الشيخ خزعل ابان نشوب الحرب ، ولما كان الشيخ مبارك ابن الصباح يخشى من احتمال انتقال الثورة الى بلاده فقد رأى أن يمد صديقه خزعل بمتطوعين من بلاده ولكن الكويتيين وقد علموا أنهم سيقاتلون اخوانهم أظهروا العصيان وجاهروا بالامتناع[١] ووضح أن دعوة الجهاد الدينى قد أثمرت ثمرتها فى الكويت لدرجة آثر معها مبارك أن يقابل الموقف بالهدوء فلم يجدمايعلل موقفه أمام قومه سوى تذكيرهم بالصداقة التى تربط بينه وبين الشيخ خزعل وأنه لم يقصد الا حمايته وحماية أسرته وأمواله من الثائرين عليه ومراعاة لعاطفة الصداقة وان كان قد تبع ذلك بتقرير ضريبة فادحة على الذين تزعموا هذا التمرد كما نفى المحرضين للثورة واستدعى نفرا منهم بحضور القنصل الانجليزى فى الكويت حيث واجههم بتأنيب شديد . وهكذا نكاد نلمح أن الشيخ مبارك قد واجه بوادر حركة عصيانية ان لم تكن بوادر ثورة وطنية حينما أعرب له الكثيرون من أنهم يعتبرون الخروج على الدولة العثمانية ارتدادا صريحا عن الاسلام[٢] .

وكان من نتيجة التحركات العثمانية التى كان يقودها سامى بك قائد القوات العثمانية فى البصرة وتقدمه الى منطقة مواجهة للمحمرة فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٤ بهدف احتلالها وتقدمقوات عثمانية أخرى بهدف احتلال بعض المقاطعات الفارسية أن صممت القيادة البريطانية على ضرورة احتلال البصرة وهكذا بينما كان مقررا للحملة البريطانية ان تقتصر فى بداية الأمر على منطقة شط العرب عند رأس الخليج لم يلبث أن اتسعت منطقة عملياتها نتيجة للتحركات العثمانية المشار اليها ، وبالفعل تم للانجليز احتلال البصرة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٤ وأذاع السيربرسى كوكس غداة احتلالها منشورا أكد فيه أن الامبراطورية تحوى عناصر مسلمة أكثر مما تحتويه الامبراطورية العثمانية المتداعية[٣] « ويلاحظ أن الحملة

---

(١) عبد العزيز الرشيد ـ تاريخ الكويت ـ جـ ٢ طبعة بيروت ص ١٧٤

(٢) الشملان : تاريخ الكويت ص ١٧١

(٣) Graves, op. cit. P. 181.

الانجليزية لم تقتصر على احتلال البصرة وانما وجهت اهتمامها بعد ذلك الى احتلال بغداد ردا على التحركات العثمانية الألمانية اذ اتخذ الألمان من قنصليتهم فى بغداد محورا لنشاط دبلوماسى واسع المدى فى الشرق الأوسط وفى منطقة المحيط الهندى فأعدت الكثير من البعثات السرية للاتصال بالحكام وأهمها بعثة ارسلت الى فارس برئاسة وازماس Wasmass كان من أهم أهدافها الاتصال بأنصار الألمان وتنظيم حرب غير نظامية ضد الانجليز فى مناطق النفط فى جنوب فارس وكذلك فى سواحل الخليج التى يمكن أن يصل اليها النفوذ الألمانى . وعلى الرغم من أن فارس أعلنت حيادها فى الحرب الا أنها لم تكن فى مركز يسمح لها أن تؤكد أو تدافع عن هذا الحياد اذ أنها لم تستطع أن تتجنب نشاط الدول المتصارعة من الجانبين وكان الانجليز كثيرا ما يتهمون الدولة العثمانية بأنها لم تحترم حياد فارس فى حين أنهم لم يحترموا هم أنفسهم ذلك الحياد كما أصبح القسم الشمالى الغربى من فارس أرض قتال بين الروس والترك الروس من القوقاز والترك من آسيا الصغرى ونتيجة للنشاط الذى بذله واسماس أصبحت القبائل فى جنوب غربى فارس الى جانب ألمانيا حتى لقد أطلق على واسماس لقب « لورنس فارس » والحقيقة أن الألمان قد نجحوا فى سنوات ما قبل الحرب فى تعزيز مركزهم الاقتصادى واقامة علاقات اقتصادية مع فارس[1] وعندما نشبت الحرب كانوا فى مركز موائم للقيام بنشاط ضد الحلفاء وطالما كانت فارس محتفظة بحيادها فانهم احتفظوا ــ بعلاقاتهم الدبلوماسية والقنصلية وممثليهم التجاريين ولكن لم تلبث أن أخذت كل من روسيا وبريطانيا تهددان حياد فارس بعد نشوب الحرب وكذلك كانت تفعل الدولة العثمانية حليفة ألمانيا ، وحول نهاية سنة ١٩١٤ كانت البعثة الألمانية المشكلة من واسماس وبعض الألمان الآخرين قد استطاعت الوصول الى بغداد بهدف تخطيط بعض العمليات العسكرية فى فارس ، ومن أهم الخطط التى وضعت فى ذلك الوقت والتى لم يقدر لها أن تنفذ بفعل المراقبة البريطانية الشديدة الدخول الى أفغانستان عبر فارس ومن هناك محاولة تحريض الأمير حبيب الله أمير أفغانستان على الانضمام الى جانب ألمانيا لمهاجمة الهند ، والخطة الثانية محاولة اثارة الأكراد فى شمال فارس ضد الانجليز ،

---

(١) راجع النشاط الألمانى فى فارس والخليج العربى فى تاريخ الحرب العظمى ــ المجلد السادس جريدة المقتطف ص ٤٩٦ وما بعدها .

ومع ذلك فان أهم العمليات هى التى قادها واسماس بنفسه فى جنوب غرب فارس والتى كانت موجهة ضد مستودعات البترول والمصالح البريطانية فى بوشهر ،وكان واسماس يعتمدعلى المدة التىقضاها فى بوشهرحينما كانقنصلا لبلاده فىالسنوات السابقة للحرب فى الحصول على تأييد من جانب أنصاره العديدين من الفرس الذى تمكن بمساعدتهم بالفعل من الاستيلاء على المنشآت البريطانية فى شيراز ونجح فى حصار المقيمية البريطانية فى بوشهر كما نجح فى احتلال شيراز نفسها مما اضطر بريطانيا الى نقل جزء من قواتها العاملة فى العراق ، وقد علل البعض هزيمة كوت الامارة نتيجة لذلك ولاشك أن هزيمة الانجليز فى عام ١٩١٦ قد أثرت على مركزهم فى فارس فقد زحف العثمانيون شرقا الى خانقين وهددوا من جديد آبار مسجد سليمان وقابل الانجليز ذلك بارسال حملة أخرى عبر سهل قارون لحماية الآبار وهكذا ازدادت أعباء بريطانيا العسكرية ولم تكن ظروفها تسمح لها بفتح جبهة جديدة فى فارس ومن ثم لجأت حكومة الهند الى تكوين جيوش من الوطنيين يقودها ضباط انجليز وبالفعل استطاع السيربرسى سيكس Sykes [١] تكوين قوة كبيرة من الهنود والقبائل الفارسية والعربية التى انحازت الى الانجليز ولم تساير الحركات الاسلامية أو الوطنية ، تلك الحركات التى كانت تعطف على دولة الخلافة الاسلامية وحليفتها ألمانيا وقد عرفت هذه القوة باسم South Persia Rifles ، وبفضل نشاط سيكس أخذ مركز واسماس يتدهور تدهورا سريعا[٢] واستطاعت بريطانيا خلال العامين المتبقيين من الحرب المحافظة على سيطرتها فى جنوب فارس والخليج العربى[٣] .

ومن حيث تعامل بريطانيا مع رؤساء الخليج فقد حرصت بعد قيام الحرب مباشرة على جمع الرؤساء التابعين لها والزامهم بسياسة موحدة اذ أنها كانت تخشى خلال وقوع العمليات العسكرية فى شمال الخليج وشط العرب والبصرة من أن تستغل الدولة العثمانية العاطفة الدينية لجذب أولئك الرؤساء اليها بشكل

---

(١) للسير برسى سيكس كتاب معروف عن تاريخ فارس .
Cf. Sykes, History of Persia, London 1951 2 vols.

(٢) عقب هدنة ١٩١٨ هرب واسماس ولكن لم يلبث أن اعتقله الفرس واسلموه الى الانجليز الذين أرسلوه بدورهم الى المانيا انظر : Marlowe op cit P. 44

(٣) العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٢٣٩

قد يؤدى الى عرقلة خط سير الأساطيل البريطانية ونقل قواتها عن طريق الخليج أو افساد الحصار الذى قررت فرضه على الدولة العثمانية من المنافذ العربية ولذلك رأت أن تسبق الدولة العثمانية فى الاستفادة من أولئك الرؤساء الذين سبق لها أن تحالفت معهم ومعرفة موقفهم من الحرب حتى اذا ما وجدت منهم ميلا اليها جمعت كلمتهم تحت من تراه أكثر استعدادا على تأييدها ومساندتها ولذلك سارع اللورد هاردنج Hardinge نائب الملك فى الهند بالقيام برحلة الى الخليج العربى[١] والعمل على تنظيم اجتماع يضم كل من عبد العزيز آل سعود حاكم نجد والاحساء والشيخ خزعل خان حاكم امارة عربستان والشيخ عيسى بن خليفة حاكم البحرين والسيد تيمور بن فيصل سلطان مسقط فى ضيافة الشيخ مبارك بن الصباح بالكويت لتوسط المدينة وأهميتها فى العمليات العسكرية البريطـــانية فى منطقة الخليج وشط العرب[٢] وفيما يرجح أن ما ذهبت اليه حكومة الهند كان يهدف بالدرجة الأولى الى تأييد ظهر حملة العراق وقد عرف هذا الاجتماع باسم مؤتمر الكويت الأول تمييزا له عن مؤتمر ثان عقد بالامارة فى العام التالى وسوف نشير اليه فيما بعد .. وتولى اللورد هاردنج بعد وصوله الى امارة الكويت فى يناير سنة ١٩١٥ رئاسة المؤتمر[٣] وحضر الاجتماع كل من السيربرسى كوكس الذى وفد من البصرة والقنصل الانجليزى فى الكويت والشيخ مبارك بن الصباح على أن مؤتمر الكويت الأول لم يسفر عن نتيجة ذات أهمية بالنســبة لحكومة الهند اذ لم يلب الدعوة من أمراء العرب الذين وجهت اليهم الدعوة لحضور هذا الاجتماع سوى الشيخ عيسى بن خليفة حاكم البحرين الذى أوفد ابنه حمد ليحضر المؤتمر نيابة عنه أما عبد العزيز آل سعود فعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تجد فى ذلك المؤتمر فرصة للاجتماع به الا أنه لم يلب الدعوة على الرغم من أن الشيخ مبارك قــد كلف من قبل

---

(١) عرض اللورد هاردنج رحلته التى قام بها فى الخليج العربى عقب نشوب الحرب العالمية الأولى ضمن مذكراته عن السنوات التى قضاها نائبا للملك فى الهند انظر :

Lord Hardinge, My Indian years, The Reminiscences of Lord Hardinge of the Pan-Khurst London 1945 PP. III — II4 see also old diplomacy London 1947.

(٢) حسين خزعل ـ تاريخ الكويت الســياسى جـ ٣ ص ٣١ انظر ايضا عبد العزيز الرشيد تاريخ الكويت جـ ٢ ص ١٧٢/١٧٣

(٣) CF. Lord Hardinge, my Indian Years PP. 113.114.

حكومة الهند أن يبذل كل ما فى وسعه لحثه على ضرورة الحضور وبالفعل أخذ مبارك فى الفترة التى سبقت انعقاد المؤتمر يلح عليه بالحضور الى الكويت ويحذره من أن يمنعه عن حضور المؤتمر أى مانع سيما ابن الرشيد فان الاشتغال بمحاربته قد يؤدى الى ارتفاع قيمة غريمه فى أعين الانجليز أو الأتراك ، ولكن فيما يبدو أن عبد العزيز كان مشغولا بالفعل بأمر ابن الرشيد لدرجة حالت بينه وبين حضور المؤتمر أو لعله فيما يعتقد البعض قد استاء من عقد المؤتمر فى الكويت اذ كان قد تولد بين مبارك وعبد العزيز شيء من التحاسد .

أما تيمور بن فيصل سلطان مسقط فلم يحضر الاجتماع بدوره لانشغاله بقمع الثورة الأباضية التى قامت ضد حكمه ، كذلك انشغل خزعل خان بقمع ثورة السادة فى بلاده أو لعله من ناحية أخرى قد استسلم للمعارضة الشعبية التى قامت ضد هذا المؤتمر .

وازاء هذه الظروف لم يجد اللورد هاردنج بدا من تأجيل المؤتمر الى وقت آخر غير أنه لم يشأ أن يفض الاجتماع دون استفادة فأراد أن يذكر الشيخ مبارك بفضل الحكومة البريطانية عليه وعلى رعيته وما نالته الامارة من الأمن والحماية أثناء الحرب وتمتعها دون سواها بالأرباح الطائلة . ويبدو أن مبارك قد أحس بالضغط الانجليزى الواقع على امارته نتيجة طبيعية للحرب ومن ثم دارجدل عنيف بينه وبين اللورد هاردنج أكد فيه مبارك أنه وقف مع الانجليز ضد العثمانيين فى امارته ولكنه اشار الى ما يقوم به المعتمدون البريطانيون من استفزازات ومحاولتهم التسلط على الامارة وقد طمأنه هاردنج بأنه ليس لحكومة الهند أية أطماع فى امارته وهى لم تأت الى الكويت الا لصد العثمانيين عنها على أنه اذا بدى من أحد معتمديها شيئا فما على الحاكم الا أن يرفع ذلك اليها .. والواقع أن زيارة اللورد هاردنج الى الكويت على الرغم من أنها لم تسفر عن شيء ذى بال الا أنها توضح لنا شدة اهتمام حكومة الهند بأمراء الخليج العربى فى ظروف الحرب .

والجدير بالذكر أنه حدث خلاف شديد فى الرأى فيما يختص بالسياسة التى تلتزمها بريطانيا بالنسبة لعلاقتها بأمراء العرب بين المكتب العربى فى القاهرة وبين حكومة الهند التى كانت مسئولة عن العلاقات الانجليزية العربية فى الجزيرة

العربية والخليج العربى ، ويرجع جانب كبير من هـذه الخلافات الى المنافسة التقليدية بين الحكومتين الى جانب اختلاف الشخصيات فضلا عن اختلاف اتجاه السياسية نفسها ، فالمكتب العربى كان يهدف الى توثيق العلاقات الانجليزية العربية فى نطاق المنافسات بين القوى التى سيقدر لها أن تظهر فى أعقاب الحرب ولذلك اتجهت سياسات القائمين به نحو انشاء دولة عربية أو اتحاد كونفيدرالى بين الدول الخاضعة للحماية البريطانية يكون شـأنه فى المقام الأول محاصرة الاطماع الفرنسية فى الليفانت وفى الدرجة الثانية المحافظة على خطوط المواصلات الأمبراطورية الى المحيط الهندى ، أما الحكومة الهندية وهى التى اعتادت أن تنظر الى العلاقات العربية فى نطاق أمن الهند فقط فقد كانت تفكر فى احكام سيطرتها على العراق وايجاد مجموعة من الشيوخ الخاضعين للحماية البريطانية تكون علاقتهم بحكومة الهند على غرار العلاقة التى تربط الحكومة الهندية بأمراء الهنود ، ولذلك كانت حكومة الهند تعارض بشدة المساعى التى كان يبذلها المكتب العربى فى القاهرة وتشجيعه شريف مكة على الثورة [١] ، وبعبارة أوضح نستطيع أن نقول أنه بينما كان المكتب العربى ينظر الى الخليج العربى والعراق باعتبارها حد أقصى لأمبراطورية بريطانية جديدة تحكم من القاهرة كانت حكومة الهند تنظر الى الخليج والعراق بمثابة حد غربى أقصى للأمبراطورية البريطانية التقليدية التى تحكم من نيودلهى .

وفى مارس ١٩١٥ عندما اشتدت وطأة القتال فى فرنسا وتلقى جيش الحلفاء ضربات شديدة من الألمان اضطر بسببها الى التقهقر رأت الحكومة البريطانية أن تحدد موقفها من القضية العربية وأن تضع سياسة معينة ازاء زعماء العرب فقررت عقد مؤتمر فى القاهرة يضم جميع الاخصائيين فى المسائل العربية — سواء القائمين بأمر المكتب العربى فى القاهرة أو موظفى الخليج التابعين لحكومة الهند — وفى ٢٣ مارس سنة ١٩١٥ وصل السير برسى كوكس الى القاهرة ليمثل رأى موظفى الخليج . وقد عقد الاجتماع برئاسة السير ريجنالد وينجت Wingate المندوب السامى فى مصر وبحضور كل من الجنرال كليتون والكوماندر هوجارث والماجور كورنوالوس وهم ممثلو المكتب العربى بالقاهرة ، والكولونيل سير بل ولسن ممثل الحكومة البريطانية فى الحجاز وكان السير برسى كوكس هو الممثل

(١) Marlowe, The Persian gulf in the 20th Century P. 49.

الوحيد لموظفى الخليج وحكومة الهند ولكن خبرته الواسعة ومعرفته بحقيقة الأوضاع فى الجزيرة العربية والمامه الدقيق بتفاصيلها ساعدته فى اقناع المجتمعين باستحالة تكوين اتحاد عربى تحت زعامة الشريف حسين وكان السير برسى كوكس من ناحيته يرى امكان التفاهم مع الأمير عبد العزيز تقديرا للمركز الذى صار اليه فى أواسط الجزيرة العربية وعلى سواحل الخليج العربى[١]، والحقيقة أن ابن سعود لم يصادف مشكلات تذكر حينما مال الى التعاون مع الانجليز فان ارتباط دولته بالحركة الوهابية جعلها منذ القدم خصما تقليديا للدولة العثمانية وهى ترفض زعامتها الروحية وفضلا عن ذلك فان ابن سعود كان مشتبكا فى صراعات مستمرة ضد آل الرشيد حلفاء العثمانيين فى نجد[٢] ، ولم يكن الأمير عبد العزيز بحاجة الى من يغريه بالتعاون مع الحلفاء وبعض الترك لأنه كان ناقما عليهم لما عاناه أسلافه من جورهم والتنكيل بهم وكان هو نفسه قد عانى منهم ومن مؤامراتهم . أما عن الدولة العثمانية فانها لم تضيع الفرصة من جانبها فطلبت عند نشوب الحرب مساعدة كلا من عبد العزيز آل سعود والأمير ابن الرشيد[٣] كما طلبت أن يمدها ابن سعود بمجاهدين يشتركون فى حرب قناة السويس وأن يساعدها أيضا فى صد هجمات الانجليز على العراق .وكانت بوادر عناية الانجليز بعبد العزيز قد بدأت قبل أشهر من قيام الحرب بوصول مبعوث بريطانيا يدعى الكابتن شكسبير Shakespeare وكان شكسبير موفدا الى نجد من قبل السير برسى كوكس المقيم البريطانى فى الخليج العربى بقصد التعرف على شخصية الامام عن كثب ومشاهدة ملكه العريض الذى أمتد حتى شمل معظم أواسط الجزيرة العربية . وقد بعث شكسبير الى حكومته بتقرير مفصل عن مشاهداته فى نجد وقد أكد فى هذا التقرير نجاح عبد العزيز فى السيطرة على القبائل وحجبها عن عوائدها المتوارثة واشاعة الأمن فى البلاد بعد أن كانت صحراء نجد موطنا للقتال والنهب[٤] .

---

(١) فون ميكوش ــ عبد العزيز ص ١٢٢/١٢٣

(٢) صلاح العقاد ــ التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٢٣٧

(٣) Graves, op. cit. P. 105.

(٤) صلاح الدين المختار ــ تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها جـ ٢ ص ١٦٢

وعند نشوب الحرب مباشرة وجد عبد العزيز أن الفرصة قد سنحت له لتعزيز مركزه وأن يبرز شخصيته فى الجزيرة العربية والخليج فبعث عدة رسائل الى كل من الشريف حسين وابنه الرشيد وامام اليمن ومبارك بن الصباح يطلب منهم الاتفاق على رأى موحد أزاء الحرب الدائرة وأن يعقدوا اتفاقا للمذاكرة فيما قد يؤدى الى اتفاق عله ينقذ العرب من أهوالها أو تقرير التحالف مع الدولة التى تتعهد بصيانة وتعزيز المصالح العربية ومصلحتهم كأمراء[١] ولكن لم يصل الجميع الى اتفاق فيما بينهم فقد اقترح مبارك بن الصباح أن يقتصر الأمر على الاجتماع الذى يعقد فى امارته والذى سيحضره اللورد هاردنج أما امام اليمن فلم يرد على رسالة عبد العزيز اليه فى حين اكتفى الشريف حسين بايفاد ابنه الأمير عبد الله الى حدود نجد للتباحث فى الأمر مع رسول عبد العزيز ولكن الاثنين افترقا دون ان يصلا الى قرار ما أما عن بن الرشيد فقد أصر على موقفه المؤيد للدولة العثمانية وصارح عبد العزيز بأنه من رجال الدولة يحارب اذا حاربت ويصالح اذا صالحت .

والواقع أن الدولة العثمانية من ناحيتها لم تفقد الأمل فى امكانها استمالة الأمير عبد العزيز الى جانبها[٢] على الرغم من اعتمادها على آل الرشيد اذ أرسلت وفدا عثمانيا يحمل الى الأمير عبد العزيز عشرة آلاف ليرة ذهبا وكان من بين أعضاء هذا الوفد السيد محمود شكرى الألوسى الذى طلب من عبد العزيز أن يتخذ جانب الدولة العثمانية ولكن عبد العزيز أفهمه أنه لا يمكنه مقاومة الانجليز فى الوقت الذى تقدمت فيه قواتهم صوب البصرة . وحاولت الدولة العثمانية استمالته اليها بوفد آخر برئاسة طالب النقيب ولكن الوفد لم يلبث أن فوجىء بعد وصوله الى الرياض باحتلال الانجليز للبصرة وتوسط الأمير له لدى الانجليز حتى أعادوه الى بلاده .

---

(١) زهرة فريث ـ الكويت كانت منزلى ص ٣١

(٢) كانت الدولة العثمانية عد اعترفت بالأمير عبد العزيز واليا على نجد ومتصرفية الاحساء وقد منحته لقب « باشا » راجع جريدة المقطم عدد ٧٦٨٢ فى ١٩١٤/٧/١ وكذلك : Philby, Arabia P. 393.

وعلى الرغم من أن عبد العزيز اتخذ جانب الانجليز كما يتضح ذلك من مواقفه المتعددة[١] وخاصة من معاهدة القيف التى عقدها مع بريطانيا والتى سوف نشير اليها فيما بعد الا أن موقفه فى الحرب كان أقرب ما يكون الى الحياد اذ رفض أن يشترك مع الانجليز فى محاربة العثمانيين فى العراق وفى نفس الوقت رفض أن يحارب الشريف حسين كما أراد الترك ، ويبدو أن عبد العزيز قد وجد أن من الأفضل ألا يوزع قواته قبل أن يقضى على منافسة آل الرشيد اذ ظل يعتبر الخطر على أسرته لا يزال يكمن فى حائل ــ والواقع أن الانجليز كانوا أسبق من غيرهم تعرفا على بواطن الأمور وعلى المشكلات التى كان يتعرض لها الأمير عبد العزيز فضلا عن أنهم كانوا يرون أن مصلحتهم قد تتفق فى بعض الأحيان مع مصلحته وعلى ذلك أوفد السير برسى كوكس ، الذى أصبح يشغل فى ذلك الوقت منصب الضابط السياسى لقوات حملة العراق الكولونيل شكسبير الوكيل البريطانى فى الكويت بقصد القيام برحلة داخل الجزيرة العربية[٢] بهدف الاتصال بالأمير عبد العزيز وذلك للحصول على ضمانات ودية لصالح الحلفاء وفى نفس الوقت لكى يمثل مصالح بريطانيا فى الرياض[٣] . وقد رأى الانجليز أن عبد العزيز قد يكون ذافائدة كبيرة بالنسبة اليهم فى حالة احتلالهم للبصرة اذ باستطاعته أن يجعل قبائل شمر ورئيسها ابن الرشيد والمنتفق ورئيسها عجمى السعدون مضطرة للبقاء على الحياد بدلا من تهديدها الجناح الأيسر للجيوش البريطانية عند تقدمها من الفاوالى الشمال ، وكان شكسبيرسفيرا مثاليا ذا ثقافة عسكرية وادراك وبداهة سياسية فى تعامله مع العرب ، كما كان مبعوثا اليها لابن سعود وربما كان خطأة الوحيد فى نظر فيلبى[٤] أنه لم (يتنازل) فى أن يرتدى الملابس العربية أثناء وجوده بين ظهرانى البدو فى الجزيرة العربية .

---

(١) راجع ذلك فى الكتاب الأسود ــ لم يذكر اسم المؤلف ص ٨/٧

(٢) cf. Carruthers, Captain shakespeare Last Journey, Geographical Journal vol LIX-May-June 1922 pp. 521-525.

(٣) Armstrong, Lord of Arabia, P. 105

(٤) Philby, Arabia PP. 234-235.

ولم يكن قصد الانجليز اكتساب مساعدة ابن سعود فقط بل فى نفس الوقت الهاؤه عن التفكير فى متابعة التوسع فى الخليج من ناحية واضعاف قوة الترك من ناحية أخرى[١] وقد عرض شكسبير على ابن سعود ان يعاون الجيش الانجليزى فى الهجوم على البصرة[٢] لكن ابن سعود وقد أدرك خطورة هذه المغامرة رفض الاجابة على طلب شكسبير وأوضح له كما أوضح للسيربرسى كوكس أنه من طرف الانجليز وأنه يود من صميم قلبه تحرير البصرة من الحكم التركى لكنه يود أن تعقد بينه وبين انجلترا معاهدة صريحة محدودة الشروط والأهداف كى يستطيع القيام بعمل حاسم وقد بدأت المفاوضات بينه وبين شكسبير عدة أسابيع دون أن تؤدى الى نتيجة الى أن وضع الترك أنفسهم حدا للموقف بتأليب ابن الرشيد للهجوم على ابن سعود .

وقد عبر شكسبير الذى استطاع خلال اقامته القصيرة أن يتفهم مشاكل ابن سعود فى رسالة له الى برسى كوكس مؤرخة فى ١٦ يناير ١٩١٥ عن القلق المتزايد الذى أخذ ينتاب الأمير ولكنه فى نفس الوقت أكد شعوره الموالى للانجليز وعواطفه الودية تجاه الحلفاء وأنه يطالب بعقد معاهدة بينه وبينهم لأن موقفه غير المحدد قد يسبب له حرجا بالغا اذ قد يضطر فى هذه الحالة الى اتخاذ موقف قد يكون فى صالح تركيا[٣] .

ولم يكد ينقض وقت طويل على وصول شكسبير الى الرياض حتى كانت الحرب المتوقعة بين حايل والرياض قد بدأها ابن الرشيد بالفعل بوحى من أصدقائه الأتراك ، وبالفعل وصلت القوات التابعة لآل الرشيد الى الحدود السعودية فى أواخر يناير سنة ١٩١٥ بعد أن تلقى ابن الرشيد مساعدة الترك وكتب ابن سعود الى ابن الرشيد يذكره بما بينهما من عهد ومصالحة فأجابه « انى من رجال الدولة وليس لى صلح معك الا اذا رضيت الدولة بذلك » وأعد عبد العزيز

---

(١) بيريبى ـ جزيرة العرب ص ٥١

(٢) كان شكسبير مزودا بتعليمات من برسى كوكس بأن يستغل طموح عبد العزيز فيجعله يعلن الحرب على تركيا على أن تتعهد بريطانيا بمساعدته اذا ما قام بهجوم على الشام أو العراق لتحرير الحرب من سيطرة الترك .

cf. Canning, Franco British Rivalry

(٣) شركة الزيت العربية الأمريكية ـ عمان والساحل الجنوبى للخليج الفارسى ص ٩١/٩٢ انظر أيضا : Graves, op. cit. P. 189.

ابن سعود الترتيبات اللازمة واتخذ الخطط لمقاومة هجمات ابن الرشيد وقد رافق شكسبير مضيفه فى هذه الحملة ويبدو أن اصرار شكسبير على الاشتراك فى الحرب كان بقصد الوقوف بالذات على المقدرة الحربية التى تتمتع بها القوات السعودية وبالفعل اشترك شكسبير فى المعركة التى نشبت بين قوات الاميرين فى موقع قريب من زلفى ولدينا تصريح أدلى به الأمير عبد العزيز وفيه ما يؤكد اشتراك شكسبير فى الحرب بأمر من حكومته وقد اقتطف ويلسن جزءا من هذا التصريح فى كتابه عن الولاءات Loyalties ذكر فيه ابن سعود : « لقد حاربنا ضد ابن الرشيد فى أرطاوى وتلت ذلك معركة كبيرة يا للخسارة .. ان صديقنا المخلص والشخص النادر الذى ينمى لنا الخير قد أصيب من بعيد ومات ... وكنا قد ألححنا عليه ليتركنا قبل القتال ولكنه أصر على أن يخوضه قائلا ان أوامرى أن اكون معكم وفى ذهابى مخالفة لشرفى وأوامرى ويجب أن أبقى بالطبع ... أرجو ابلاغ أسفى لحكومة جلالة الملك »[١] .

وقد عرفت المعركة التى وقعت بين عبد العزيز وآل الرشيد بمعركة أجراب وقد بدأت بتفوق ظاهر لقوات ابن سعود وكان النصر حليف المشاة السعوديين فى أحد الجناحين بينما كانت الغلبة لفرسان جبل شمر فى جناح آخر اما شكسبير فقد أصيب برصاصة أودت بحياته حيث كان باعتباره ضابطا سابقا فى المدفعية يشرف على اطلاق القنابل من مدفع للميدان غنمته القوات السعودية وضع قيد الاستعمال فى المعركة[٢] . وقد أطلق الفرسان من العجمان صيحة الانهزام فانكشف جناح ابن سعود الأيسر وأغارت عشائر ابن الرشيد عليه فاندحر الجناح والنتيجة فوز البدو من كلا الفريقين وهربهم بالذى غنموه وعاد ابن سعود بقواته الى الرياض كما عاد ابن الرشيد بقواته الى حايل كل منهما يدعى النصر لنفسه وبعد بضعة أشهر من هذه المعركة وقع الأميران صلحا فيما بينهما وان كان ذلك صلحا اسميا اذ أن الصراع لم يتوقف بينهما[٣] .

---

(١) التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وابو ظبى وبين المملكة العربية السعودية جـ ١ الأساس ص ٣٧٣ انظر أيضا : Wilson, Loyalties P. 31

(٢) الجدير بالذكر ان اسم الكابتن شكسبير لا يزال راسخا فى اذهان السعوديين عونه فى سبيل الهدف الذى كانوا يحاربون من أجله .
انظر زهرة فريث ـ الكويت كانت منزلى ص ٣١/٣٢

(٣) صلاح الدين المختار ـ تاريخ المملكة العربية السعودية ـ فى ماضيها وحاضرها جـ ٢ ص ١٦٩

وكان موت شكسبير فى يناير ١٩١٥ كارثة لبلاده كما كان خسارة لابن سعود اذ ظل الأخير متجهما فى خيامه لايكاد يؤثر فى التطورات الجارية فى الأنحاء الأخرى من شبه الجزيرة العربية والتى جعلته الآن فى مركز ثانوى فى السياسة العربية ، هذا علاوة على أنها زادت أعداءه وضخمت قوتهم ويبرز من هؤلاء أمير حايل ابن الرشيد الذى انحاز الى الأتراك وكان أهم من غيره اذا ما قورن بالشريف حسين فى الحجاز أو الزعماء الآخرين من حلفاء الانجليز وزاد الأمر سوءاً أن السير برسى كوكس لم يكن مستعدا أن يجازف بحياة أحد من ضباطه فى مهالك الصحراء . ولكن كوكس لم يلبث أن أخذ يقدر مركز الأمير عبد العزيز وبدأت بينهما اتصالات وعلاقات ساهم ممثل ابن سعود فى البصرة المدعو عبد اللطيف بن قنديل فى تعزيزها وفى ديسمبر ١٩١٥ طلب كوكس من حكومته أن تفوضه فى عقد معاهدة مع ابن سعود ، وعلى أثر موافقة الحكومة البريطانية على ذلك بدأ كوكس يعمل على تنظيم مقابلة بينه وبين الأمير حيث أبحر من البصرة الى ميناء العقير وتمت المقابلة بالفعل فى ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ وكان اجتماع العقير أول مرة يلاقى فيها ابن سعود السيربرسى كوكس وكانا قبل ذلك قد دخلا فى مفاوضات ومراسلات كثيرة[١] وفيما يبدو أن كلا منهما قد أعجب بشخصية الآخر ، وبعد أحاديث ودية وتأكيدات من عبد العزيز بحرصه الشديد على حماية المصالح البريطانية وأن الولاة الذين يعينون من قبله فى الهفوف والقطيف لديهم التعليمات بحماية هذه المصـــالح[٢] وقع الاثنان على معاهدة تنظيم العلاقات فيما بينهما فى بلدة دارين بالقرب من القطيف[٣] وقد نصت هذه المعاهدة على اعتراف بريطانيا باستقلال ابن سعود وضمان حرية بلاده ضد أى اعتداء خارجى قد يقع عليها شريطة أن تكون حدودها حسب ما تتمخض عنه الحرب وذلك فى مقابل تعهد ابن ســعود ألا يهاجم المحميات البريطانية فى الخليج وتضمنت

---

(١) راجع كتابنا الخليج العربى الفصل الثامن ص ٢٩٧ . نجد وعلاقتها ببريطانيا والدولة العثمانية على عهد الأمير عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢/١٩١٤ ، انظر أيضا : Graves, op. cit. P. 198.

(٢) cf. The Book of Admiralty general vol I P. 303.

(٣) يشير بعض الكتاب الى هذه المعاهدة احيانا باسم معاهدة القطيف وقد وقع السير برسى كوكس هذه المعاهدة فى ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ وصدقت عليها حكومة الهند فى ١٨ يوليو سنة ١٩١٦ Cf. Foreign office-Persian gulf No 67 P. 96

المعاهدة كذلك نصا يقضى بعدم نقل ملكية الأراضى الى أية دولة أجنبية وعلى منع اقامة علاقات سياسية مع أية دولة أجنبية فيما عدا بريطانيا . ولم يبد عبد العزيز أية معارضة على نص المادة السادسة من المعاهدة التى تطرقت الى المشيخات المحمية والتى تعهد فيها كما تعهد آباؤه من قبل أن يتحاشى الاعتداء على الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان المشمولة بحماية الحكومة البريطانية ولها صلات مع الحكومة المذكورة وأن لا يتدخل فى شئونها على أن تحدد حدود هذه الأقطار فيما بعد . وفيما يقال أن السيربرسى كوكس انتهز فرصة اجتماعية بالأمير عبد العزيز ليعرض عليه مسألة الخلافة ولكن عبد العزيز كان من بعد النظر بحيث خشى أن تجره هذه المسألة الى عداء من قبل الأمراء العرب فأشار بعرضها على الشريف حسين فان له من النسب ما يؤهله للوصول الى ذلك المنصب[١] .

وقد يكون من المناسب أن نحلل هنا أهمية تلك المعاهدة بالنسبة لكل من الأمير عبد العزيز والحكومة البريطانية فبالنسبة لبريطانيا نستطيع أن نجمل أهمية تلك المعاهدة على النحو التالى :

أولا : ان عقد معاهدة مع الأمير عبد العزيز يمكن أن يؤدى الى سلامة المواصلات البريطانية الى العراق كما يمكن لعبد العزيز بارتباطه مع بريطانيا أن يقف ضد الاتجاه الموالى للترك من خلفاء الشيخ مبارك على الرغم من تعهده فى هذه المعاهدة بعدم الاعتداء على امارة الكويت ولا على غيرها من الامارات المرتبطة ببريطانيا[٢] .

ثانيا : ان اجتذاب الحكومة البريطانية لابن سعود الى جانبها يجعلها تضمن عدم عداءه لشريف مكة الحسين بن على الذى كان قد أصبح منوطا به القيام بدورهام لصالح بريطانيا[٣] خاصة وأن عبد العزيز لم يكن صديقا للشريف حسين بعد أن قامت بينهما الكثير من الصراعات[٤] .

---

(١) جمال الغزى ـ ميثاق الوحدة لجزيرة العرب الفتاة ص ١٠١/١٠٢
(٢) انظر أيضا صلاح المختار تاريخ المملكة العربية السعودية ج ٢ ص ١٧١
Graves, op. cit. P. 197.
(٣) Marlowe, op. cit. P. 48.
(٤) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ص ٣٠٩

ثالثا : رغبة حكومة الهند فى ايجاد علاقات من الصداقة مع الأمير عبد العزيز تحقيقا لمصالح ملحة من أهمها التقاء حدود الأمير مع مقاطعات قبيلة عنيز القاطنة على حدود العراق وكان يحكم هذه القبيلة الشيخ فهد صديق ابن سعود ولاشك أن هذه الصداقة يمكن أن تستغلها حكومة الهند فى التأثير على الشيخ ليقف الى جانبها أو يبقى على حياده على الأقل مما يؤدى الى حماية خطوط مواصلاتها الى العراق فضلا عن أن مساعدة ابن سعود لبريطانيا ستكون بمثابة قوة نفوذ لها فى هذه المنطقة .

رابعا : وكان من أهم الدوافع لعقد هذه المعاهدة المخاوف الشديدة التى أبداها حكام الساحل العمانى نتيجة لعودة ظهور الخطر السعودى عقب استيلاء الأمير عبد العزيز على الاحساء فى عام ١٩١٣ ، وكان من الطبيعى أن تعمل بريطانيا على ازالة هذه المخاوف وتبادر الى تأمين مركز الشيوخ الخاضعين لحمايتها فى الساحل الجنوبى للخليج . وحسب المصادر السعودية كان شيخ أبو ظبى الهناوى حمدان ابن زايد هو وحده تقريبا الذى أبدى تلك المخاوف فبدأ على الفور فى تدعيم قوته بالحصول على كميات ضخمة من الذخيرة والسلاح ولكنه سرعان ما تحول الى صداقة السعوديين اذ كتب رسالة الى الأمير عبد العزيز فى عام ١٩١٧ يقول فيها « أين بعض أهل المقاصد الذين كانت رغبتهم الوحيدة التفريق بين الأصدقاء أولى الاتحاد خصوصا بيننا وبينكم ... ويمضى فى القول بأن الذى يقع منه الضرر لآل سعود فهيهات أن يكن له عندنا ملجأ أبدا ومازلنا حاسبين أنفسنا واياكم شركاء فى السراء والضراء » . كما كتب اليه رسالة أخرى فى مارس ١٩٢٠ أكد فيها الوحدة القائمة بينهما وذهب فى ولائه الى حد قوله أنه للأمير بن سعود فى هذه الأطراف « عينا باصرة لكم بخالص النصح والاجتهاد لمافيه مصالحكم مثل ما أن الأخ الشيخ عبد الله بن جلوى فى ناحية بلدكم الحسا قائما بالاجتهاد فى أوامر جنابك فنحن كذلك أن شاء الله فى هذا الطرف الشرقى قائمين بالاجتهاد لما فيه مصالح الجميع مثل ماتظنوا وزيادة وشركاء فى الخير وضده كعضو بغير مفصل والفرق معدوم مدى الحياة والقلوب شواهد على ذلك» وكانت هاتان الرسالتان اجابة على الرسائل التى بعث بها اليه الأمير

---

(١) انظر الوثائق السعودية جـ ١ ص ٣٠٧/٣٠٨ ونص الرسالتين فى الملحق ٣ ، ٤ من المجلد الثانى ص ٣٧٩

السعودى ، ومما يستلفت النظر فى رسالتى الشيخ أبو ظبى أنهما مليئتان بكثير من عبارات الولاء لابن سعود وقد اعتبرتهم الحكومة السعودية بمثابة أدلة دامغة لتبعية شيخ أبو ظبى لحكومة نجد ولكن من المشكوك فيه أن شيخ أبو ظبى كان يقصد بما يقوله تبعيته المطلقة لابن سعود وانما العبارات المستخدمة فى الرسالتين ليست الا أسلوبا شائعا لدى شيخ امارة صغيرة عندما يوجه خطابه الى أمير كبير ــ مثل الأمير عبد العزيز ــ الذى كان يمتلك القسم الكبير من أراضى شبه الجزيرة العربية(١) .

خامسا : ينبغى أن نلاحظ أنه قبل نشوب الحرب كان احتمال عقد معاهدة رسمية مع ابن سعود قد طرح جانبا لأن الحكومة البريطانية كانت تفضل تهدئه العلاقات مع الدولة العثمانية ولكن بدخول الدولة العثمانية الحرب فقد هذا السبب وجاهته ومن هنا سارع برسى كوكس بعقد هذه المعاهدة(٢)

وأما أهمية عقد المعاهدة مع بريطانيا بالنسبة للأمير عبد العزيز فيمكن أن نبرزها على الوجه الآتى : .

أولا : الملاحظ أن الأمير عبد العزيز فى الفترة السابقة لعقد المعاهدة كان دائم الحذر يتسقط جمع المعلومات السياسية السرية الخطيرة التى كانت تدور على مسرح السياسة العربية من ذلك أنه علم أن المعتمد البريطانى فى عدن « الجنرال شو » قد اتصل بالادريسى الذى كان قد وضع يده على عسير وشرع يفاوضه فى عقد معاهدة بينه وبين الحكومة البريطانية وأن هذه المعاهدة قد وقعت بالفعل وصودق عليها من قبل اللورد هاردنج نائب الملك فى الهند وعقب ابرام هذه المعاهدة فى ٣٠ ابريل ١٩١٥ أعلن الادريسى الحرب على الأتراك وكان أول أمير عربى ينحاز الى الانجليز وقد عرفت هذه المعاهدة باسم معاهدة جيزان وبعد عقد هذه المعاهدة تغير الموقف فى جزيرة العرب اذ تقدم الانجليز بعد احتلالهم البصرة حتى بلدة قرنة وأصبحوا بذلك سادة على الخليج بلا منازع كذلك كانت حامياتهم البحرية المحتشدة فى البحرين قادرة على انزال

(١) للعلاقة بين ابن سعود وزعماء الساحل العمانى المهادن انظر :
Major Clarence Mann, Abuthabee, Birth of an Sheikhdom, Beirut, 1964

(٢) cf. British Relations with Wahabees, ind. Off. Political and External files vol. 37

قوات تستطيع بها احتلال سواحل الاحساء وتفرض الحصار على ابن سعود فتحرمه من كل امداد يصل اليه من أى طريق وبمعنى آخر أن عبد العزيز وجد نفسه مطوقا بالنفوذ الانجليزى شمالا وجنوبا بالاضافة الى تطويق أصدقاء الانجليز له فى كل من الكويت وعسير والحجاز وبالتالى لم يعد يمتلك حرية الاختيار فى سياسته أزاء بريطانيا فرأى أنه من الأسلم أن يعمل على كسب صداقتها فكان عقده لهذه المعاهدة(١) .

ثانيا : كان الأمير عبد العزيز يرغب فى عقد معاهدة مع بريطانيا يضمن بها موقفه من الشريف حسين خاصة بعدما توقعه من ان تؤثر صداقة بريطانيا للشريف حسين فى مركزه فضلا عن توتره أزاء الصراع الذى كان لم يحسم بعد بينه وبين غريمة ابن الرشيد فى حائل(٢) وكان ضمان بريطانيا لمركز عبد العزيز ومنحه مساعدات مادية وعينية أكثر مما يتوق اليه فى ذلك الوقت على الرغم من أن هذه المعاهدة كانت محطة بقدره فهى لم تنظر اليه الا على أنه واحد من شيوخ الخليج الخاضعين لحمايتها والمرتبطين معها بمعاهدات مانعة Exclusive Treatie فالمعروف أن معاهدة القطيف كانت تشمل معظم المواد التى ذكرت فى المعاهدات المانعة التى عقدتها بريطانيا مع شيوخ الخليج مثل عدم التنازل وعدم التأجير أو الرهن لأى قسم من أراضيه الا بموافقة الحكومة البريطانية وكذلك عدم الاتصال بالحكومات الأجنبية وبالاضافة الى ذلك وردت فى المعاهدة بعض المواد التى لم ترد فى المعاهدات المانعة الأخرى نتيجة لظروف الحرب مثل حماية ابن سعود من أى اعتداء يقع عليه من قبل دولة أخرى .

ثالثا : هناك فائدة أخرى بالنسبة لعبد العزيز ساعدت على الحاجة فى عقد هذه المعاهدة من ذلك أنه كان يخشى أن تحتل انجلترا — بالنظر لظروف الحرب — موانى نجد والاحساء باعتبارها من ممتلكات الدولة العثمانية ولذلك كان يحرص على عقد معاهدة تعترف له فيها بريطانيا بأن هذه البلاد قد أضحت بلاده وأنه مستقل فيها(٣) .

---

(١) صلاح المختار ـ تاريخ المملكة العربية السعودية ، فى ماضيها وحاضرها جـ ٢ ص ٣٧٩

(٢) Marlowe, op. cit. P. 44

(٣) محمد رشيد رضا ـ الوهابيون والحجاز ص ٧٣/٧٤

ويمكن أن نخلص من ذلك كله أن الأمير عبد العزيز كان أكثر تقديرا لقوة الانجليز فى الخليج وعلاقتهم مع مشايخه وشدة صولتهم فى الهند وقوة أساطيلهم ومقدار خطرها على الاحساء التى ضمها حديثا الى ممتلكاته وامكانهم حرمانه منها (١) .

وعلى الرغم من أن عبد العزيز لم يكن يقصد بتوقيعه على هذه الاتفاقية أكثر من الانتفاع بظروف الحرب فى تقرير مساعدة سنوية له الا ان موافقة مستشارى الامير على توقيع هذه المعاهدة برغم ذلك قد اعتبره الكثيرون جهلا منهم بما كان يجرى فى العالم الخارجى وعدم مقدرتهم على الاستفادة من الفرص التى توالت فى ذلك الحين فى تقرير مركز يتفق والمكانة التى وصل اليها ابن سعود ومدى تأثيره الايجابى فى هذا الركن من العالم خلال الحرب . ولذلك ما كاد عبد العزيز يتوسع فى ممتلكاته حتى طلب بنفسه تعديل معاهدة القطيف تعديلا يتفق مع المركز الذى وصل اليه فى الجزيرة العربية وبالفعل عدلت معاهدة دارين بمعاهدة جديدة أبرمت فى جدة عام ١٩٢٧ بعد أن أصبح الأمير سلطانا على كل من نجد والحجاز واعترفت له الحكومة البريطانية فى هذه المعاهدة بالاستقلال التام وبمخابرة الدول والاتفاق معها حسب ما تمليه عليه مصلحة بلاده بعد ما كان محروما من هذا الحق فى معاهدة القطيف (٢) .

والجدير بالذكر أن معاهدة القطيف لم تشجب الاتفاق الانجليزى التركى الذى سبق أن وقعته بريطانيا مع الدولة العثمانية فى يوليو سنة ١٩١٣ اذأصرت بريطانيا على الزام عبد العزيز بهذه الاتفاقية التى لم يصادق عليها باعتباره وريثا للأمبراطورية العثمانية فى هذه المنطقة من الخليج . ومما يستلفت النظر فى اجتماع العقير أن السير برسى كوكس لم يشر الى المفاوضات والمراسلات التى كانت دائرة فى تلك الآونة بين مكماهون والشريف حسين والمهم أن عبد العزيز قد استفاد من توقيع معاهدة القطيف فى امداد بريطانيا له بالسلاح الذى كان فى حاجة ملحة اليه لمقاتلة العجمان وآل الرشيد فبالاضافة الى المساعدات النقدية

---

(١) Philiby, Sa'udi Arabia PP. 234-235

(٢) حافظ وهبة ـ شبه جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢٥٧

التىقدرت بعشرين ألف جنيها انجليزيا والمساعدات العينية الأخرى التى قدرت بألف بندقية سهلت له بريطانيا استيراد الذخيرة لحسابه الخاص من البحرين حتى يستطيع أن يفى بحاجات الحملة التى سيرها فى ذلك الحين ضد قبائل العجمان الذين حاربهم واضطرهم للجوء الى الكويت [١] وكان من نتائج توقيع معاهدة القطيف أن توسط السير برسى كوكس بين عبد العزيز وسالم بن الصباح اذ قبل آل السعود أن يوقف استعداده العسكرى ضد العجمان شريطة أن يطردهم الشيخ سالم من بلاده [٢] وذلك أن شيخ الكويت كان يود توسيع امارته على حساب مناطق العجمان فى الجنوب فساعدهم على الثورة ضد ابن سعود بتوزيع الأسلحة عليهم وحثهم على الثورة مما جعل مركز الأمير ابن سعود حرجا من كل جانب فابن الرشـــيد يعد العدة لمداهمة نجد والشريف حسين فى الحجاز يعمل على اضعافه والشيخ سالم فى الكويت يشجع القبائل الثائرة ضده . والجدير بالذكر أن موقف عبد العزيز فى الحرب العالمية الأولى قد تعرض لجدل عنيف ولاختلاف وجهة نظر الكتاب الذين عرضوا لهذا الموضوع فهناك من اعتبره التزم جانب الانجليز وهناك من اعتبره قد وقف على الحيـــاد وفى تقـــديرنا أن عبد العزيز انحاز فعلا للانجليز على الرغم من أنه لم يكن حليفا رسميا لهم اذ أنه من الناحية القانونية لم يخرج من موقف الحياد طيلة سنوات الحرب اذا ما قارناه مثلا بالشريف حسين الذى صار حليفا رسميا للانجليز . ويرى السير ريدر بولارد Bullard أن عبد العزيز انحاز للانجليز منذ أن أكد للمبعوث البريطانى شكسبير أنه ملتزم جانب بريطانيا وقلبه ملىء بالسرور من تلك الفرصة التى استوجبت تأسيس علاقات جديدة صحيحة بينه وبين بريطانيا وهكذا دخل عبد العزيز فى قائمة الأمراء الذين ساعدوا انجلترا خلال الحرب وأن الاخلاص الذى ساند به الانجليز طوال الحرب ليعبر عنه السير ريدر بولارد بقوله : « لقد كانت مساعدة عبد العزيز قيمة ولوكان تسلم مقدارا أكبر من السلاح لكان حليفا أكثر نفعا » .

وقد يكون من المناسب ونحن بصدد تحليلنا لمعاهدة القطيف أن نعرض لأهم ما اشتملت عليه المعاهدة .

---

(١) Dickson, Kuwait and Her Neighbours P. 244

(٢) صلاح المختار ــ تاريخ المملكة العربية السعودية جـ ٢ ص ١٧٦

أولا : اعتراف الحكومة البريطانية بابن سعود وخلفائه كحكام مستقلين اذ نصت المادة الأولى : « . . . . . الدولة البهية الانكليزية أكيدا تعترف وتقر بأن النجد والحسا والقطيف والجبيل ومايليها وحدودها التى سنتذاكر بها وستتعين بعد حين وبنادرها على شواطىء خليج فارس هى من ممالك ابن سعود وممالك أجداده السابقين منه فبهذه الوسيلة تعترف بابن سعود المشار اليه حاكما مستقلا على الممالك المذكورة ورئيسا مطلقا على عشايره وبعده أولاده وأعقابه بالوراثة ».

ثانيا : تقرير المساعدة البريطانية لابن سعود ضد أى عدوان أجنبى .

ثالثا : اشراف بريطانيا على علاقة ابن سعود الخارجية .

رابعا : تعهد من قبل الأمير ألا يتنازل عن ممتلكاته الى أية دولة أجنبية .

اذ جاء فى نص المادة الثالثة من المعاهدة على ألا يتدخل الأمير فى مكاتبات أو اتفاقات مع أية دولة أخرى كما نصت المادة الرابعة على أن يتبع مشورة بريطانيا بشرط ألا تكون ضارة بمصالحه .

خامسا : وعد من الأمير بأن يترك طرق الحج مفتوحة .

سادسا : عدم الاعتداء على شيوخ الكويت والبحرين ــ قطر ــ المشيخات المهادنة : ــ والجدير بالذكر أن معاهدة القطيف وان عنيت بالحدود الشرقية لممتلكات الأمير عبد العزيز الا أنها لم تلتفت الى الحدود الغربية بدليل أنها لم تحوى فى شروطها أى التزام من قبل الأمير بعدم الاعتداء على الشريف حسين الأمر الذى ترك الفرصة سانحة له لتوجيه نشاطه فى الحدود الغربية لممتلكاته (٢) .

وقد أصبح عبد العزيز بعد توقيع هذه المعاهدة فى مصاف أمراء الخليج المرتبطين بمعاهدات مع بريطانيا . وفى العام التالى ١٩١٦ أخذت العلاقات تتوثق بينه وبين الحكومة البريطانية التى كانت تعول كثيرا على صداقته وفى سبتمبر ١٩١٦ تسلم السير برسى كوكس رسالة من ابن سعود يطلب مقابلة ثانية وفيما يبدو أن عبد العزيز كان أكثر الحاحا فى هذا الطلب اذ فى نهاية عام ١٩١٥ توفى

---

(١) انظر نص معاهدة القطيف فى شبه جزيرة العرب فى القرن العشرين للشيخ حافظ وهبة ص ٣٣٤

(٢) Phiby, Sa'udi Arabia, PP. 272-273 London, 1955

الشيخ مبارك ، وعلى الرغم من أن تلك الوفاة كانت تبشر بحسن العلاقات بينه وبين الكويت خاصة بعد أن شهدت الشهور الأخيرة من حياة مبارك تحاسدا وقلقا من جانب الشيخ الذى أخذ يساوره فى شيخوخته قلق عنيف من طموح رجل دربه بنفسه على شئون السياسة الا أن خليفته الشيخ جابر لم يعمر طويلا ولم يؤد حكمه الى نتائج ملموسة فيما يتعلق بالخطر الذى كان يتعرض له الأمير السعودى من جراء وجود اللاجئين العجمان فى الكويت وما أن خلفه الشيخ سالم بن الصباح وقد عرف بعدائه الشـديد لابن سعود حتى اتجه فى سياسته نحو اظهار عدائه السافر للرياض وبالاضافة الى هذا الموقف من جانب الكويت كان الأمير سعود فى وضع لا يحسد عليه بسبب النزاع القائم فعلا أو الذى كان متوقعا حدوثه بين نجد وبين الحجاز وآل الرشيد فى حائل[1] ولهذا نراه يلح فى طلب مقابلة السير برسى كوكس حتى يطلعه على حقيقة الوضع الذى صار اليه وقد اختيرت العقير مكانا للاجتماع وبالفعل وصل كوكس الى سواحل قطر وتمت المقابلة فيما بينهما فى ميناء العقير فى سنة ١٩١٦ وكان الاجتماع فى ظاهره من أجل البحث فى الوسائل التى تمكن ابن سعود من السير قدما فى حملته الهجومية التى كان ينوى القيام بها ضد ابن الرشيد وقد أوضح عبد العـزيز للسير برسى كوكس فشله فى ايقاع الضربة القاضية بغريمه بسبب حروبه المستمرة ضد آل العجمان وأنه لا يستطيع أن يواصل الحرب فى جبهتين فى آن واحد . وقد عنى اجتماع العقير الثانى بمناقشة الطرق والوسائل التى تمكن عبد العزيز من تجهيز حملة قوية ضد ابن الرشيد وعلى الرغم من أن الاجتماع انصب على هذا الموضوع فى معظمه الا أن عبد العزيز حاول استغلال الفرصة لمعرفة موقف الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالتدابير التى اتخذتها مع الشريف حسين خصوصا بعد اعلانه لأمراء الجزيرة العربية والخليج أن الانجليز قد اعترفوا به ملكا على العرب . وقد أعطى السير برسى كوكس تأكيـدات مشددة لابن سعود أن استقلاله لن يمس بأى وجه من الوجوه .

---

(١) من المعروف أن عبد العزيز بن سعود لم يستطع التخلص من آل الرشيد الا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فى ٢ نوفمبر ـ انظر حافظ وهبة : خمسون عاما من جزيرة العرب ص ٢٨

وبالاضافة الى ذلك تناول اجتماع العقير علاقات ابن سعود بشيخ الكويت ، والحصار الذى فرضته بريطانيا على موانى الكويت لمنع تسرب مواد الحرب والسلع الغذائية من الكويت ووصولها الى الأتراك العثمانيين فى بادية الشام وقد طلب الماجور هاملتون مبعوث حكومة الهند مرافقا للسير برسى كوكس من ابن سعود يعاونه فى توثيق الحصار وقد أكد له الأمير أنه على الرغم من وعده بالمساعدة الفعالة فى هذا الشأن الا أنه لايسعه اتهام حاكم الكويت بأنه هو الذى يساعد حركات التهريب الى الأتراك كما اتهمه باتفاقه السرى مع الأتراك وأنه من الخير لبريطانيا أن توقف التهريب من منابعه الرئيسية بالكويت بدلا من أن تطلب الى ابن سعود تضيق الخناق على المهربين بعد أن ينفذوا الى الصحارى الشاسعة . وقد دعى السير برسى كوكس الأمير عبد العزيز ليأخذ مكانه فى الاجتماع الذى قررت الحكومة البريطانية أن تعقده فى الكويت بين الأمراء العرب الذين اتخذوا جانب بريطانيا فى الحرب لخلع الأوسمة عليهم وقد عرف هذا المؤتمر باسم مؤتمر الكويت الثانى تمييزا له عن المؤتمر الأول السابق اشارتنا اليه . ولم يكن القصد من المؤتمر مجرد اجتماع دورى لحكام الجزيرة العربية والخليج وانما كانت الحكومة البريطانية تنظر الى مؤتمر الكويت نظرة أكثر عمقا ذلك أنه بعد أن أعلن الشريف حسين ثورته حرصت الحكومة البريطانية على عقد هذا المؤتمر الذى اشترك فيه الأمراء العرب كى تتحقق من حسن نواياهم نحوها من ناحية وحثهم على شد أزر الشريف حسين وتأييد ثورته من ناحية أخرى وقد عقد هذا المؤتمر بالفعل فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ .

وقد حضر مؤتمر الكويت الى جانب عبد العزيز وجابر بن الصباح والشيخ خزعل خان أكثر من مائة من رؤساء العشائر العربية فى جنوب الأحساء وجنوب العراق وعهد الى السير برسى كوكس برئاسة المؤتمر حيث افتتحه بكلمة أظهر فيها حسن نوايا بريطانيا تجاه العرب ورغبتها فى استعادتهم لمجدهم الغابر وحرصها على جمع كلمتهم ليكونوا كتلة متماسكة تستطيع صد أى اعتداء خارجى يقع على بلادهم ثم وجه خطابه بعد ذلك الى الأمير ابن سعود مستحثا اياه مساعدة الحلفاء ثم تطرق الى موضوع الخلافة ووجوب انتقالها الى العرب وأجاب عبد العزيز على خطاب كوكس ببغضه الصريح للأتراك ولكنه أشار بالنسبة لموضوع الخلافة ــ كما سبق أن أعلن لهاردنج ــ باسنادها الى الشريف حسين .

ثم أعقبه الشيخ خزعل فأيد الوحدة العربية واستعداد العرب لمعاونة بريطانيا ، أما الشيخ جابر حاكم الكويت فقد تردد فى موقفه اذ كان يتنازعه موقفه المؤيد للأتراك باعتبارهم مسلمين وموقفه المؤيد لما يتخذه العرب من اتجاهات يجمعون عليها . ولم يجد فى نهاية الأمر بدا من أن يعلن . . . أننا عرب فاذا ما اجتمعت كلمة العرب على شىء فاننا له من الطائعين ، ويبدو أنه تعرض للضغط الانجليزى عليه لكى يعلن موقفه هذا .

وقد تناقلت الروايات بعض ما دار فى المجلس من أحاديث فابن سعود قال أنه عدو للترك وهم له أعداء وأنه سيطاردهم ولو وحده لأنه لايذكر لهم سوى الشر له ولآبائه من قبل فقد قتلوا منهم ومثلوا ببعضهم أشنع تمثيل وضرب خزعل أيضا على هذا الوتر . أما الشيخ جابر وقد عرف بميوله الدينية المحافظة فقد أبى أن يساير الأميرين وأعلن موقفه المؤيد للأتراك العثمانيين باعتبارهم مسلمين [١] وقد بذل السير برسى كوكس جهودا كبيرة فى التخفيف من الشعور الموالى للأنجليز والذى لاحظه بالنسبة للشيخ جابر اذ حرص ألا يفض المؤتمر حتى يقسم كل من ابن سعود وجابر وخزعل بتحالفهم مع بريطانيا ضد العثمانيين [٢] وانتهى المؤتمر بتقليد السير برسى كوكس كلا من الأميرين عبد العزيز والشيخ جابر نجمة وسام الهند وقد أبلغ الشريف حسين نتائج مؤتمر الكويت الثانى فاستحسنه وقوى عزمه به وطلب من الحكومة البريطانية ابلاغ الأمراء شكره وتهانيه كما أبرق الى عبد العزيز بواسطة برسى كوكس يشكره على ما دار فى المؤتمر ويحثه على الاتحاد وجمع كلمة العرب ويوصيه بمراعاة جيرانه من أمراء الجزيرة العربية والأحسان اليهم وعلى الأخص أمير الكويت .

وبعد انتهاء المؤتمر وصل كل من عبد العزيز والشيخ خزعل الى البصرة فى ٢٦ نوفمبر ١٩١٦ بدعوة من السير برسى كوكس حيث أنعم كوكس على الأمير عبد العزيز بسيف مرصع وقد نزل الأمير ضيفا عليه وعلى القائد العام لقوات جيش العراق وكانت هذه أول مرة يسافر فيها عبد العزيز خارج الجزيرة العربية وقد تأثر لدى رؤيته لذلك العدد الوافر من المعدات الحربية وربما أثر فى نفسيته

---

(١) عبد العزيز الرشيد ـ تاريخ الكويت جـ ٢ ص ١٩٨

(٢) Graves, op. cit. P. 213

أن تكون امرأة واحدة من أعظم مضيفيه وهى جرتردبل[١] وفى اجتماع البصرة تم الاتفاق على أن يتسلم شهريا خمسة آلاف جنيها مع أربعة رشاشات وثلاثة آلاف بندقية مع كميات ضخمة من الذخيرة تكفى لتجهيز ما يقرب من أربعة آلاف مقاتل لمحاربة ابن الرشيد ومهاجمته فى عاصـــمته[٢] كما حرص برسى كوكس أن يعقد اجتماعا بينه وبين الأمير عبد العزيز والشيخ فهد حاكم عنيزه وكان هذا الاجتماع بهدف استغلال الحكومة البريطانية لحليفها عبد العزيز بغية التوسط بينها وبين الشيخ فهد ويبدو بالفعل أن مساعدة عبد العزيز لبريطانيا لدى حاكم عنيزه كانت على درجة كبيرة من الأهمية بحيث قررت حكومة الهند أن تزيد الاعانة السنوية التى كانت تصرفها له الى ٦٠,٠٠٠ جنيها ثم رفعتها بعد ذلك الى ١٠٠,٠٠٠جنيه ومن المحتمل أنيكون ذلك قد تم عن طريق اتفاقية جديدة .

والأمر الذى لا شك فيه أن اجتماعات العقير والكويت والبصرة أدت الى تحسن موقف الحكومة البريطانية خاصة بعد أن تم الاتفاق مع الشيخ فهد الذى كان يسيطر على الطريق الصحراوى بين دمشق وبغداد بحماية المواصلات بين الهند وبين المناطق التى وصل اليها النفوذ البريطانى فى العراق . وقد استمرت حكومة الهند فى توطيد علاقاتها بالأمراء العرب بايفادها البعثات المتتالية لدى كل من الشريف حسين والأمير عبد العزيز (١٩١٧) وكان الغرض من ذلك أزالة أسباب الجفوة بين الحليفين الرئيسيين لبريطانيا فى الجزيرة العربية . وبفضل تلك الجهود استطاعت بريطانيا طيلة سنوات الحرب أن تحمى الأمارات العربية فى الخليج وأن توفر لها جانب الحماية من اطماع عبد العزيز بن سعود برا ونشاط المدرعات الألمانية التى حالت بينها وبين الدخول الى مياه الخليج بفضل التعزيزات البريطانية القوية اذ كان من المعروف نشاط الغواصات الألمانية فى منطقة المحيط الهندى مما يدلل على احكام بريطانيا سيطرتها على الخليج خلال الحرب رسالة بعث بها اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية الى السير برسى كوكس فى ٢٢ يناير سنة ١٩١٧ جاء فيها : « . . . لقد قمتم بكل (نبل) بالمهمة التى وكلتها اليكم منذ ثمانية عشر عاما . . . لقد جعلت من نفسك

---

(١) فيلبى ـ تاريخ نجد ودعـوة الشيخ عبد الوهاب الســلفية مترجم ص ٣١٩ ـ بيروت .

(٢) Philby, Sa'udi Arabia, P. 274

ملكا على الخليج وعندما تنتهى الحرب فسوف نعزز تلك المملكة ونعمل على ألا يقوم أحد بانتزاع هذا التاج منكم »[١] .

ومما يغنينا عن التعليق على هذه الفقرة من الرسالة أن هـذا كان تصريحا من وزير الخارجية البريطانية الى الموظف البريطانى المسئول فى الدرجة الأولى عن معالجة الشئون السياسية والعسكرية فى العراق والخليج العربى .

وفى خلال الحرب العالمية الأولى وصلت العلاقات السعودية الكويتية الى درجة كبيرة من التوتر وبدأت منذ أواخر أيام مبارك على الرغم من الصداقة الشديدة التى كانت تربط بين الحاكمين[٢]. اذ اتضح من تصرفات مبارك أنه لم يكن مطمئنا الى تضخم قوة الأمير عبد العزيز خاصة بعد استيلائه على القصيم وعنيزة ثم الاحســـاء وخشى مبارك على أمارته من جراء التوســع السعودى [٣]. وسرعان ما تكشفت لعبد العزيز نوايا مبارك ويقال أن الموقف بدأ يتوتر بين الأميرين فى أعقاب معركة اجراب عندما غنم ابن الرشيد حقيبة أوراق عبد العزيز وكان بداخلها رسالة سبق للشيخ مبارك أن بعث بها الى الأمير عبد العزيز آل سعود يحرضه فيها على كل من ابن الرشيد والحكومة العثمانية ويؤكد فى رسالته أن الدولة العثمانية ذاهبة لا محالة وأن الغلبة فى ميدان الحرب سيكون لخصومها الانجليز ويخبره أيضا بعزمه الأغارة على شمر . وبطبيعة الحال أثر هذا فى علاقة مبارك بابن سعود اذ أن مبارك لم يغفر لعبد العزيز اهماله المراسلات السرية التى كانت تدور فيما بينهما حتى اتهمه بأنه عمد الى تسليم تلك الرســالة لآل الرشــيد ليوقع بينه وبينهم[٤] ثم كانت الحادثة الثانية التى أدت الى زيادة التوتر بين الأميرين وهى تلقى عبد العزيز

---

(١) Graves, op. cit. P. 231

(٢) تعود هذه الصداقة الى أيام استضافة آل صباح للأسرة السعودية فى الكويت وكان الشيخ مبارك يلقب عبد العزيز بولده كما كان الأمير عبد العزيز يلقب مبارك بالوالد وكثيرا ما كان كل أمير يغض الطرف عن أخطاء الأمير الآخر استجابة لدواعى المصلحة المشتركة فيما بينهما .

(٣) جمال زكريا قاسم ــ الخليج العربى ــ دراسة لتاريخ الأمارات العربية ص ٢٢٨

(٤) عبد العزيز الرشيد ــ تاريخ الكويت جـ ٢ ص ١٨٢

رسالة من مبارك يطلب منه فيها تأديب قبائل العجمان الذين أغاروا على أمارته ونهبوا مواشى عشائره ولكن عبد العزيز كان بعيد النظر اذ اعتذر عن تنفيذ ما جاء برسالة مبارك لخوفه أن يلجأ اليه العجمان بعد محاربته لهم فينقلب بذلك عليه غير أنه بعد معركة اجراب بدأ عبد العزيز يواجه ثورة العجمان فى الاحساء وعندما تحرك لقمع ثورتهم رحل العجمان الى جهات قطر وهنا طلب ابن سعود النجدة من مبارك ولكن الأخير لم يسعفه وانما تعمد الابطاء الى أن أرسل له أخيرا مددا على رأسه ابنه وولى عهده الشيخ سالم الصباح . وفيما يبدو أن الشيخ مبارك حينما تأخر عن ارسال المدد كان يتوقع أن تنهار قوى ابن السعود خاصة وأن ابن الرشيد انتهز فرص صراع عبد العزيز ضد العجمان لينقض الصلح الذى وقع بين الأميرين بعد معركة اجراب ولكن عبدالعزيز تمكن من السيطرة على الموقف فقمع ثورة العجمان بسرعة فائقة حتى لا يشغل نفسه بالقتال فى جهتين فى آن واحد . ولم يلبث أن اتضح لعبد العزيز أن مبارك لم يكن ينوى ارسال ابنه اليه رغبة فى مساعدته وانما لمراقبة الموقف اذ جاء فى التعليمات التى زود بها مبارك ابنه سالم « . . . . لقد أرسلتك مراقبا لا مقاتلا ... اذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم واذا هم غلبوه فلا تساعدهم عليه » . وفى نوفمبر ١٩١٥ عزم عبد العزيز على مهاجمة العجمان وآل صباح معا خاصة وأن العجمان ارتحلوا الى الكويت حيث وجدوا فيها سوقا لبيع منهوباتهم التى استولوا عليها من أهالى الاحساء ومنحهم حكام الكويت حق اللجوء السياسى فى بلادهم . ولا شك أن الموقف الذى وقفه مبارك من قضية العجمان كان مسارا للاستياء الشديد من قبل الأمير عبد العزيز[1] . وبينما كان ابن سعود يعد العدة لتسوية حسابه مع مبارك تلقى نبأ وفاته فآثر التراجع وكتب الى الشيخ جابر يعزيه فى وفاة والده وينصحه بعدم السير على سياسته . على أن الحكومة البريطانية أبدت توجسها من وفاة مبارك وتوليه جابر لميوله الدينية من ناحية ولضعفه من ناحية أخرى وما يترتب على ذلك من عدم مقدرته على السيطرة على الموقف فى بلاده بعد ارتفاع المعارضة الوطنية ضد الانجليز وبالفعل اضطر جابر أن ينحاز الى زعماء قومه ولكن لم يلبث أن

---

(١) صلاح المختار ـ تاريخ المملكة العربية السعودية جـ ٢ ص ١٦٨ حافظ وهبة .

واجه ضغطا من قبل حكومة الهند ويتضح ذلك فى الرسالة التى بعث بها اليه نائب الملك فى الهند اللورد شلسفد الذى عاصر ولايته[١] مهنئا له وصوله الى حكم الامارة ومؤكدا أن الحكومة البريطانية تلتزم له بما سبق أن التزمت به لوالده بشرط أن يلتزم بنفس الالتزامات لـدى الحكومة البريطانية واقترح السير برسى كوكس لدى حكومة الهند أن تمنحه وسام نجمة الهند من درجة فارس ووافقت الحكومة مبدئيا على ذلك وبالفعل أهدته النيشان العالى S. A. C. I. وان كان تقليده لذلك الوسام لم يتم الا حينما عقد مؤتمر الكويت الثانى على نحو ما أشرنا . ومع ذلك فلا نستطيع أن نحكم على طبيعة العلاقات التى قامت بين جابر والحكومة البريطانية ولا بينه وبين ابن سعود لأن جابر لم يعمر فى الحكم الا شهورا قليلة ولكن العلاقات لم تلبث أن ظهرت واضحة فى عهد الشيخ سالم بن الصباح[٢] . وساعد عبد العزيز بن سعود على محاولة تحقيق أطماعه فى الكويت ، الموقف الذى وقفه سالم واتجاهه الموالى للأتراك مما أعطى الفرصة للأمير عبد العزيز أن يواصل أطماعه وهو مطمئن الى تجاوز الحكومة البريطانية عن أعماله نظرا للموقف المشار اليه ومع ذلك فان عبد العزيز لم يستطيع أن ينال التأييد البريطانى المطلق فالمعروف أن السياسة البريطانية كانت تحول دون التوسع السعودى فى امارات الخليج العربى .

ومما يستلفت النظر أن العلاقات المتدهورة بين نجد والكويت كانت تعنى بصفة خاصة الحكومة البريطانية والمندوب السامى البريطانى فى بغداد لأن توتر العلاقات من شأنه أن يخلق اضطرابا قد يسهل عمليات التهريب التى كانت تقوم بها العشائر البدوية من سلاح وذخيرة ومواد غذائية عبر الطرق الصحراوية المتجهة الى معسكرات الأتراك العثمانيين فى بادية الشام ولما كانت قبائل العجمان هى التى تقوم بأعمال التهريب هذه فقد تلاقت وجهة نظر عبد العزيز بن سعود مع وجهة نظر الحاكم المدنى فى بغداد لاتخاذ اجراءات ضد هذه القبائل التى كانت تحتمى بأمارة الكويت وهكذا استطاع عبد العزيز أن يجد مساندة من بريطانيا فى التخلص من ثورات هـذه القبائل عليه واحتمائهم المتوصل بامارة

(١) حسين خزعل ـ تاريخ الكويت السياسى جـ ٣ ص ١٧ ـ ١٨ شبه جزيرة العرب ص ٢٥٨

(٢) حسين خزعل ـ تاريخ الكويت السياسى جـ ٣ ص ١٢/١٣

الكويت . وكان هناك موضوعات أخرى عنى ببحثها كل من عبد العزيز بن سعود والمندوب السامى البريطانى فى بغداد بهدف تهدئة العلاقات بين نجد والكويت أهمها تحديد قيمة الضرائب الجمركية التى تفرض فى الكويت والبحرين على البضائع المصدرة الى نجد الى جانب امكانية وضع عملة معدنية صغيرة لتوفى باحتياجات المعاملات التجارية بين البلدين .

ومن ناحية أخرى كان موقف سالم المؤيد للأتراك موضع قلق الانجليز المتزايد ، خاصة وقد عرف عنه تزمته الشديد ، وتغلب الطباع البدوية عليه وقد زعم بعض الكتاب أن سالما كان يعتقد أن الحكومة البريطانية تمالىء ابن سعود عليه مما جعله ينحاز الى الأتراك فى الحرب العالمية الأولى . وقابلت الحكومة البريطانية موقف سالم بتشديد الرقابة البحرية حتى أصبحت الكويت فى حالة حصار تقريبا . وكان الهدف من ذلك منع وصـــول التجارة المهربة وأسلحة الحرب إلى الأتراك العثمانيين فى الشام ، كما تم فى عهد سالم انشاء الخط البرقى بين الكويت والعراق . وكان الحصار الانجليزى لأمارة الكويت سببا فى سخط الأهالى الذين يشتغل معظمهم بالتجارة ، مما اضطر بريطانيا فى نهاية الأمر الى وعد التجار بالتعويض عما لحقهم من خسائر فادحة بسبب عمليات الحصار . وبدأت عمليات الحصار فى بداية عام ١٩١٧ بالحصار البحرى لموانى الكويت وبحصار بعض المراكز التجارية الواقعة على الطريق بين الكويت والعراق والمعروف أن تجارة التهريب كانت تجد أرباحا طائلة ، ذلك أن ندرة المؤن واختفائها فى سوريا وارتفاع أسعار المواد الغذائية أوجد سوقا رائجة للمهربين ، اذ كانوا ينقلون البضائع المهربة عبر الصحراء الى دمشق من العراق وموانى الخليج العربى ، وكانت هذه المؤن بدورها تأتى من الهند . وكان الشيخ سالم يغض البصر عن هذه العمليات التى تجرى داخل بلاده ، وكان بطبيعة الحال يستفيد من فرض الضرائب . وعلى الرغم من أن ابن ســعود كان مسئولا بدوره عن عمليات التهريب هذه ، اذ كان تجار القصيم وغيرهم ينقلون بضائعهم الى حائل ومن هناك تنقل الى الأتراك ، الا أنه ألقى بالمسئولية الأولى على سالم فى ضرورة ايقاف عمليات التهريب من منابعها ، وكان ذلك فى نقاش بينه وبين السير برسى كوكس أثناء اجتماعهما الثانى فى العقير عام ١٩١٦ [١] .

(١) Philby, Sa'udi Arabia, P. 274

والواقع أن تجار الكويت نشطوا فى تسيير تجارتهم الى نجد والحجاز والشام والعراق والآستانة ، وقد سارت التجارة الى تلك الجهات فى الوقت الذى كان فيه الحصار البحرى مفروضا على سوريا ، مما اضطر حكومة الهند أن تنزل قواتها فى الكويت بهدف احكام عمليات الحصار ، وان كان هذا الاجراء مؤقتا ، اذ لم يلبث أن انسحبت القوات الانجليزية من الكويت عقب توقيع الهدنة مع تركيا فى نفس العام .

وقد يكون من المناسب أن نعرض بشىء من التفصيل لظروف هذه الأزمة التى وقعت بين بريطانيا والكويت والتى حاول عبد العزيز أن يستفيد من وقوعها فى تحقيق مشروعاته الخاصة ، ذلك أنه بعد انسحاب الجيوش العثمانية من البصرة أخذت القوات البريطانية تطاردها فى القرنة والشعيبة ثم العمارة والناصرية ولم تكتف الحكومة البريطانية بذلك وانما ضربت الحصر البحرى على الدولة العثمانية ، ولما كانت عشائر البادية تعتمد على ما تكتاله من البصرة والكويت ، لذلك رأت الحكومة البريطانية أن تراقب الطرق البرية أيضا حتى لا يصل منها شىء الى الدولة العثمانية ولا الى العشائر الموالية لها ، فأسندت أمر مراقبة اكتيال عشائر البادية وتزويدها بالأطعمة الى عهدة أحد ضباطها العسكريين ليقف بنفسه على كيفية خروج القوافل منها ، وبالفعل طلب الوكيل السياسى فى الكويت من الشيخ سالم بعدم السماح بسفر القوافل الموجودة فى ذلك الوقت فى الكويت والتى كانت تابعة لأهالى زلفى وبريدة حتى وصول الكابتن سميث Cole Smith .

وقد أخذت الحكومة البريطانية تعمل فى تشديد قبضتها على الكويت خاصة وأن الأمارة كانت من أهم الأماكن التى تقصدها قوافل التجارة بغرض الاكتيال . وقد لاحظ الماجور هاملتون Hamilton الوكيل السياسى فى الكويت أن جميع الأموال التى تخرج من الكويت بواسطة القوافل يتجه بها أصحابها الى ناحية ابن الرشيد فى حائل . وأصدر السير برسى كوكس تعليماته الى الوكيل السياسى بمراقبة القبائل التى تفد الى الكويت بغرض الاكتيال والتأثير لدى شيخ الكويت بهدف منع هذه القبائل من الدخول الى الكويت[1] وفى مارس ١٩١٨ وصل

(١) حسين خزعل ـ تاريخ الكويت السياسى جـ ٣ ص ٢٠

جون فيلبى من الحجاز الى أطراف العراق وراح يجوب البادية وفى قافلته عدد كثير من الجمال وكان يحمل أكياسا من الذهب والفضة واستخدمها فى اغراء فريق من شيوخ العشائر للعمل لحساب القوات الانجليزية ، ومن بين الزعماء الذى نجح فيلبى استمالتهم ضارى بن طوالة شيخ عشائر شمر العراق[١] . والسبب فى هذه الأعمال التى قامت بها الحكومة البريطانية فى ذلك الوقت يرجع الى تقديرها أن وصول الامدادات الى القوات العثمانية من الكويت والبصرة ونجد مما يؤخر فى انتصار الحلفاء واتبعت حكومة الهند المراقبة البرية ، التى لم تستطيع السيطرة عليها ، بفرض الحصار البحرى على الكويت بعد استمرار وصول المؤن الى الأتراك فى دمشق عن طريق الصحراء ، وفى يوليه ١٩١٨ وجهت حكومة الهند تحذيرا الى الشيخ سالم بأن الضمانات التى قدمت له ولأسلافه من قبل والصداقة والحماية والمساعدة التى تقوم بها بالنسبة لأمارة الكويت لا يمكن أن تستمر ، مالم يكن قائما بالمسئولية التامة فى منع الأعمال غير المشروعة التى يقوم بها رعاياه أو غيرهم فى داخل ممتلكاته ، والتى قد يكون من شأنها أن تتعارض مع مصلحة الحكومة البريطانية[٢] .

ولا شك أن التحذير البريطانى الذى وجه الى الشيخ سالم كان نتيجة للنشاط المعادى الذى أحست الحكومة البريطانية به[٣] . والجدير بالذكر أن الموقف الذى اتخذه سالم من حيث تغاضيه عن حركات تهريب الأسلحة والمؤن الى العثمانيين ، كان تعاطفا منه قبل الوطنيين من ناحية ، فضلا عن أنه كان لميوله الدينية يكره الانجليز ، ويفضل الانحياز الى الدولة العثمانية باعتبارها مركز الخلافة الاسلامية[٤] ، وهكذا تميز عهد سالم بذلك الصدام الذى وقع بينه وبين ابن سعود من ناحية ، والحكومة البريطانية من ناحية أخرى ، نتيجة انحيازه الى الأطراف المعادية لها ، اذ أن الشيخ سالم انحاز الى جانب الدولة العثمانية ضد الانجليز ، كما انحاز الى آل الرشيد ضد عبد العزيز بن سعود[٥] . وقد

---

(١) صلاح الدين مختار ــ تاريخ المملكة العربية السعودية جـ ٢ ص ١٩٥

(٢) Dikson, Kuwait and Her Neighbours P. 234

(٣) Dickson, Op. Cit. P. 234.

(٤) الفرحان ــ مختصر تاريخ الكويت ص ١٣٣

(٥) Dickson, Op. Cit. PP. 243-244

حاولت الحكومة البريطانية استخدام مساعيها لدى الشيخ سالم ، مستعينة فى ذلك بشتى وسائل الضغط السياسى ، اذ أبلغ المستر بل Bell المقيم السياسى فى الخليج ، الشيخ سالم بأن الحكومة البريطانية ترغب فى تعيين موظفين من قبلها فى الكويت للاشراف على ما يخرج من الامارة من سلع الى الجهات المعادية لها [1]. ولكن سالم رفض هذا الطلب مبررا موقفه بأن الكويت ليست معادية لانجلترا حتى تضرب بهذا النطاق من الحصار ، فضلا عن أنه من المحافظين على المصالح البريطانية وأن أية قافلة لا تخرج من الكويت الا بعد حصولها على ترخيص من الوكيل البريطانى .

وأخيرا أكد سالم أنه لا يجوز للحكومة البريطانية القاء المسئولية على امارته فيما يصل الى دول الأعداء من سلع ، اذ لا مانع من أن تكون هذه السلع مرسلة من نجد أو من سواها . ولكن (بل) أصر على موقفه وهدده بتعرض الامارة الى قذف المدفعية البريطانية مالم يقبل مطالب الحكومة البريطانية ، ولم يجد سالم مايتعلل به ازاء هذا التهديد السافر ، الا مراجعة زعماء آل صباح ، الذين رفضوا بدورهم مطالب المقيم البريطانى . غير أنه لدى وصول أنباء هذه الأزمة الى السيربرسى كوكس ، لم يوافق على تصعيدها . اذ كانت ظروف الحرب لا تحتمل اثارة موقف حرج فى ذلك الوقت ، ولذلك اتخذ كوكس موقفا ملاينا اذ أرسل للشيخ سالم رسالة ودية يرجوه فيها قبول مااقترحته الحكومة البريطانية بضرورة تعيين لجنة اشراف فى الكويت ، بعد أن قطع له التعهدات المؤكدة بأن تلك الهيئة التى تنوى الحكومة البريطانية ارسالها ، هيئة مؤقتة الى انتهاء الحرب . كما أبلغه أن حكومته سوف تعوضه عن الأضرار المادية التى يمكن أن تلحق به وبتجار الكويت من جراء عمليات الحصار الاقتصادى ، ولم يجد الشيخ سالم بدا من الموافقة ، وبالفعل أرسلت الى الكويت لجنة برئاسة الكابتن أمكلم الذى عين مأمورا للحصار وأشرك معـــه موظفين من سكان الكويت ، حيث أقيمت عدة مراكز فى المنافذ المختلفة التى يمكن أن تخرج منها القوافل ، ولا شك أن الكويت أصيبت من جراء ذلك بعجز اقتصادى بالغ ، اذ وصل التضييق على معاملاتها التجارية الى حد أن المؤن الضرورية لم تصل الى الكويت من الهند الا

---

(١) cf. Montogue Pell, Britain and The Persian gulf, Journal of the United Empire Vol VI

بمقدار ، وألزم كل تاجر أن يحمل وثيقة خاصة به ، وكاد التضييق يصل الى تفتيش المنازل واحصاء الأموال والمؤن . وفيما يبدو أن الحكومة البريطانية قدرت ما أصبحت تعانيه الكويت من ضائقة مالية، اذ دفعت للشيخ سالم وللتجار الكويتيين الذين أضيروا من عمليات المراقبة تعويضا ماليا بلغ ٤٨٧ ألف روبية ، كما أهدت الشيخ سالم نيشانا من درجة فارس قلده اياه المستر « بل » الذى كان قد هدده فى بداية الأزمة .

والجدير بالذكر أن الخلاف الذى قام بين نجد والكويت ، وان كان قد ظهر واضحا خلال سنوات الحرب ، الا أن ذلك الخلاف لم يلبث أن استفحل خطره فى أعقاب الحرب . وقد سبق الاشارة أن ابن سعود حاول انتهاز فرصة الحرب لتحقيق أطماعه التوسعية فى الكويت مستفيدا بوقوع الأزمة بين سالم والحكومة البريطانية ، والحقيقة أن عبد العزيز بن سعود قد وجد من بعض الساسة الانجليز من كان مستعدا لمسايرته فى ذلك ، اذ أن المنازعات السعودية الكويتية سببت لبريطانيا الكثير من الازعاج ، بدرجة خشيت منها على مركزها خلال سنوات الحرب ، ولما كان سالم معاديا لها فقد اقترح جون فيلبى — من قسم الشئون السياسية بوزارة الهند — على حكومته الخلاص من هذه المشكلة المعقدة بضم الكويت الى ممتلكات ابن سعود فى نجد مدافعا عن نظريته بأنها منفذ طبيعى لداخل الجزيرة العربية بيد أن الحكومة البريطانية لم توافق على هذا الاقتراح ، فلا شك أن احتمال تدفق البترول فى الكويت جعلها تصر على وجوب احترام ابن سعود لسيادة الكويت وحدودها التى سبق للحكومة البريطانية أن تعهدت بحمايتها [٣] .

وعلى الرغم من أن عبد العزيز قد اضطر خلال سنوات الحرب أن يلتزم بتعليمات الحكومة البريطانية فى التخلى عن مشروعاته التوسعية فى الخليج ، الا أنه أخذ يتحلل فى أعقاب الحرب من القيود التى فرضتها عليه بريطانيا فى معاهدة القطيف ، وقد ساعده على ذلك أن الحكومة البريطانية أخذت بدورها تتحلل

---

(١) عبد العزيز الرشيد — تاريخ الكويت جـ ٢ ص ٢٠٢/٢٠٤ طبعة بيروت

(٢) عبد الله فيلبى — تاريخ نجد (مترجم) ص ٥٦/٥٧

(٣) عبد الله فيلبى — تاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية (مترجم ص ٥٦/٥٧) .

من التزاماتها المادية قبله . وكان توقف الحكومة البريطانية عن دفع الرواتب السنوية لابن سعود ضربة قوية وجهت اليه على الرغم من أنه كان يدرك أن الحكومة البريطانية لم تكن على استعداد فى أن تستمر فى مساعدته . ومع ذلك فقد كان توقف حكومة الهند عن الدفع فرصة لابن سعود لكى ينقض اتفاقية القطيف ، وبالتالى يعمل على التوسع فى الحدود الشرقية لممتلكاته ، مبررا ذلك بحاجته المستمرة الى المال ، وقد صرح بقوله : « . . . . اننى حتى الآن (١٩١٩) كنت مقيدا بالتزام خاص وهو ألا أزعج الحكومة البريطانية بأية سياسة أتبعها ، وطالما كنت أتسلم منها مساعدة مالية ، فان علىّ أن أتقيد بشروطها ، أما وقد شعرت بأنها مضطرة الى التوقف عن دفع المساعدة المالية الى ، فانه يحق لى فيما أعتقد أن أتبع السياسة التى أريدها ، وأن أعمل على تقرير مصيرى بالطريق الذى أراه . . ! ! [١] »

ولعل ذلك يفسر لنا ما قام به ابن سعود من توسعات اقليمية فى الحجاز وعمان ومشارف الكويت ، حتى استطاع أن يوجد لنفسه كيانا أكثر قوة ، مما كان عليه من قبل ولم تجد الحكومة البريطانية فى نهاية الأمر سوى الموافقة على تعديل معاهدة القطيف بمعاهدة أخرى تتفق والمركز الذى وصل اليه فى الجزيرة العربية [٢] . واستعان عبد العزيز آل سعود فى توسعاته الاقليمية نحو الشرق ، بتحريضه لأتباعه من الاخوان على غزو الكويت ، وبالفعل اشتبك شيخ الكويت سالم بن الصباح ، فى معارك طاحنة ضد الاخوان النجديين ، وبدأت الغزوات بمهاجمة فيصل الدويش معسكر سالم بن الصباح فى حمض ١٩١٩ وفى العام التالى هاجم الاخوان الجهرة ، ونظرا لأهميتها العسكرية اذ أنها مدخل هام للكويت ، فقد وصل اليها سالم بنفسه ، ولكن الاخوان تمكنوا من محاصرته وكادوا يقضون عليه لولا نفاذ ذخيرتهم وقد خسرت الكويت من المهمات والذخائر والابل ، ما لا تقل قيمته عن ٣٠,٠٠٠ جنيه .

والواقع أن معركتى حمض والجهرة كانتا على جانب كبير من الأهمية لما ترتب عليهما تدخل الحكومة البريطانية فى الصراع السعودى الكويتى الذى اتخذ

---

(١) cf. Comment of Sir Percy cox to the Lecture delivared by captian Eccles in the central Asian society 27 October, 1927.

(٢) معاهدة جدة ١٩٢٧

فى هذه المرة غزو عسكرى مباشر ، كما أن هذه المعارك ترتبط أشد الارتباط بموضوع الحدود الكويتية السعودية ، فمن المعروف أن اتفاقية يوليو ١٩١٣ الموقعة بين الحكومتين البريطانية والعثمانية ، على الرغم من أنها نصت على تخطيط حدود الكويت ، الا أن عبد العزيز لم يكن على استعداد للالتزام بهذه المعاهدة على الرغم من اصرار الحكومة البريطانية على اعتباره الوريث الشرعى للدولة العثمانية فى مناطق الخليج العربى ومن ثم حاولت الضغط عليه لقبول هذه التسوية ، ولكن عبد العزيز كان من الطموح بحيث حاول أن ينفذ من نطاق هذه التسوية معتمدا على أتباعه من الاخوان الذين كانوا أكثر حماسا من عبد العزيز لدرجة ثورتهم عليه عندما وجدوا منه تخاذلا فى نهاية الأمر .

وقد بدأ النزاع الكويتى السعودى يتخذ الشكل العسكرى المشار اليه عندما حاول الشيخ سالم تأكيد سيادته فى حدوده الجنوبية فى دوحة بلبول الواقعة على الساحل الشمالى من جبل منيف ، ولكن عبد العزيز اعترض على ذلك مدعيا أن دوحة البلبول تقع ضمن الأقاليم السعودية ، وأصدر تعليماته الى الاخوان بالاستيلاء على « قرية » التى كان يطالب بها الشيخ سالم [١] ، وبالفعل تمكن الدويش من الحاق الهزيمة بالجيش الكويتى ، وعندما وصلت فلول القوات الكويتية المنهزمة الى الكويت أدرك سالم خطورة الموقف فأمر ببناء السور المشهور حول الكويت ، وبالفعل تم بناءه بسرعة فائقة ، واشترك فيه جميع سكان الكويت . وكان الشيخ سالم يعتقد أن تحركات الاخوان نتيجة تحريض ابن سعود لهم بهدف القضاء على اتفاقية ٢٩ يولية سنة ١٩١٣ الانجليزية التركية مما دفعه الى احكام ادارته الصارمة على الامارة تفاديا لحالة التهديد ، كما حاول تقرير جزية سنوية على القبائل الواقعة الى الجنوب . وفشلت المفاوضات السعودية الكويتية ، اذ أصر الأمير عبد العزيز على عدم رد الأسلاب التى غنمها الاخوان ، وسجل ابن سعود مآخذه على سالم ، واتهمه بتحريض ابن الرشيد عليه ، وعلق رد الأسلاب على تنازل سالم عن العشائر القاطنة جنوب الكويت وتعهده بألا يخرج من الكويت جيشا مقاتلا [٢] ، والواقع أن

---

(١) عبد العزيز الرشيد ـ تاريخ الكويت جـ ٢ ص ٢١٢

(٢) Dickson, Kuwait and Her Neighbours P. 252

الصراع الكويتى السعودى كان من أهم أسباب التقارب بين الكويت والانجليز ، ذلك التقارب الذى ظهر واضحا خلال الأيام الأخيرة من حكم سالم ، مما يفسر لنا رفض الحكومة البريطانية للادعاءات السعودية ، فعندما طلب عبد العزيز أن يمتد بأراضيه الى أسوار الكويت رفضت الحكومة البريطانية هذا الطلب وأبلغته أنها تعترف به فقط داخل الحدود المحدودة فى الاتفاق الانجليزى التركى ، الذى تضمن حدود الكويت وأن عليه أن يقبل التزامه واحترامه لهذا الاتفاق . والجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية كانت لا تريد أن تلتزم بالاتفاق الانجليزى التركى فى علاقاتها بالكويت فى حين أنها كانت تصر على الزام عبد العزيز بذلك الاتفاق .

وازاء تدخل الحكومة البريطانية فى النزاع السعودى الكويتى ، دارت المراسلات بين الكويت ونجد ، والمندوب السامى فى العراق ، وفرضت بريطانيا نفسها بمثابة محكم فى هذا الصراع بعد أن حصلت من كل من الشيخ سالم وعبد العزيز آل سعود ، على تعهد كتابى بموافقتهما على قرارات التحكيم وان كان الاثنان لم يلتزما بتعهدهما ، اذ واصل الأمير عبد العزيز اعتداءاته المستمرة على الكويت معلنا أن سيادة شيخ الكويت منحصرة داخل أسوارها وقدم الشيخ سالم من ناحيته احتجاجا الى الحكومة البريطانية ضد تعديلات عبد العزيز وأطماعه فى امارته ، ومحاولته ضم قبائلها اليه محددا مطالبه على الوجه التالى :

أولا : أن تمتد حدود الكويت من جزيرة العمار جنوبا الى قرب انطاع ، والى جهرة واللهابة وقرعة واللصانة ، الى حفر الباطن ، وشمالا الى جبل سنام وسفوان وأم القصر .

ثانيا : أن يكون كل من حاكم نجد والكويت مسئولا مسئولية مباشرة عما يجرى فى حدوده من تعديلات البدو القاطنين هناك .

ثالثا : أن يكون لعشائر البادية الحرية التامة فى الانضمام الى أى حاكم يرونه أقدر من غيره على حمايتهم ، وأن يدفعون له زكاة أموالهم ، وأن يكون هناك ضمان لحرية التجارة .

رابعا : اذا حدث نزاع بين البدو ، فالفصل فيه يكون من سلطة الحاكمين ، الا اذا عجزوا عن ذلك فيرجع الأمر الى وكلاء الحكومة البريطانية فى الكويت والبحرين [١] .

وبالاضـــافة الى تلك لمطالب التى حددها الشيخ سالم ، فقد طلب عون الحكومة البريطانية رسميا ازاء اعتداءات الاخوان ، ورأت الحكومة البريطانية الفرصة مواتية لايقاف أطماع ابن سعود ، وذلك بمؤازرتها لسالم ، وظهر ذلك فى التحذير الذى بعث به الوكيل البريطانى فى الكويت الى فيصل الدويش بضرورة انسحابه من أطراف الكويت تحت التهديد بضرب تجمعات قواته من الجو بواسطة القوى الجوية التى تتخذ من البصرة قاعدة لها [٢] ، كما ذكر الماجور مور Moore لمبعوث فيصل الدويش بأنه لا يعتقد أن يكون الاخوان يتصرفون بايعاز من ابن سعود ، اذ أن الأمير صديق للحكومة البريطانية ، وقد أعطى تعهدا لها بألا يسبب أى متاعب للكويت .

وكرر الماجور (مور) تحذيره بأنه سوف يعارض أى هجوم يقوم به الاخوان على الكويت [٣] .

ولم تلبث أن أسفرت الاتصالات الرسمية بين الكويت وبوشهر وحكومة لنـــدن والهند عن ارســـال ثلاث مدرعات بريطانية رست فى مياه الكويت ، كما وصلت طائرتان من البصرة . فى الوقت الذى كان فيه فيصل الدويش يوالى ضغطه على الكويت ، وبوصول القوة البريطانية كان لدى سالم الجرأة الكافية للاجتماع بفيصل الدويش فى مقابلة حضرها الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت الماجور (مور) الذى حاول أن يؤكد للدويش أن كلا من الشيخ سالم وعبد العزيز صديقان لبريطانيا ، ولكن الدويش أجابه بأنه ما جاء الا بأمر عبد العزيز ، ومع ذلك فقد أصر (مور) على موقفه وموقف حكومته انحيازا للشيخ سالم ، وبعث بتحذير شـــديد اللهجة الى فيصل الدويش جاء فيه : « ... ان الحكومة البريطانية ترى أن أفعالكم هى بعكس ارادة وأوامر الأمير عبد العزيز ،

---

(١) الرشيد ــ تاريخ الكويت جـ ٢ ص ٣١٦

(٢) Dickson, op. cit. PP. 311-312

(٣) Ibid, PP. 255-256

ولا شك أن سعادته سينهيكم عن ذلك عندما يعلم بأفعالكم ، فبناء عليه نتبهكم بأنه اذا تجربون أن تهجموا على مدينة الكويت ، فحينئذ ستحسبون مجرمين حرب ، ليس عند سعادة شيخ الكويت ، بل عند الحكومة البريطانية أيضا ، فالحكومة البريطانية لم تعتبر ذلك بل ستقابل هذا بأفعال عدائية بواسطة القوة التى تفتكر لائقة . هذا مالزم اعلانه لكم » .

وازاء هذا الانذار اضطرت جحافل الاخوان الى الانسحاب عن تهديد الكويت وان كان ذلك لفترة مؤقتة[١] .

وكان لابد بعد ذلك من تهدئة العلاقات بين عبد العزيز والشيخ سالم ، فضلا عن ايجاد تسوية رسمية تحدد بها تخوم الامارتين ، وفيما يبدو أن الحكومة البريطانية توسطت فى أمر الصلح بين الأميرين ، وعهد بالوساطة الى الشيخ خزعل حاكم المحمرة الذى أرسل ابنه الكبير جاسب الى الكويت ، للبحث مع الشيخ سالم عمن يترأس وفد الصلح ، وبعد مداولات تعين الشيخ أحمد الجابر رئيسا للوفد ، وأبحرت البعثة وهى محملة بالهدايا والتحف على اليخت الخزعلى الى البحرين فى طريقها الى نجد فى فبراير سنة ١٩٢١ ، وما كادت البعثة تلتقى بعبد العزيز وتتفاوض معه حول تخطيط الحدود بين الامارتين ، حتى وصلت أنباء وفاة الشيخ سالم وآلت الأمور الى الشيخ أحمد الجابر ، وفيما يقال أن عبد العزيز سر سرورا بالغا عندما بلغه هذا النبأ ، ومزق محاضر المفاوضة التى كان قد سبق أن سجلها مع الشيخ أحمد الجابر ، وذكر ابن سعود (على سبيل المجاملة) ان حدود الكويت تنتهى عند أسوار الرياض وبعث المنادين ينادون أن سوق الكويت ونجد والاحساء : واحد ، ولا معارض لمن أراد السفر الى الكويت ، وحذر الاخوان من الاعتداء على من ينتسب لآل صباح ، كما سمح للنجديين بمسابلة أهالى الكويت . كما أكد عبد العزيز للشيخ

---

(١) لم يكف الاخوان عن ثوراتهم وقد وجهوها بعد ذلك ضد الأمير عبدالعزيز متهمين اياه بالتخاذل ، وقد استطاع عبد العزيز أن يقضى على ثوراتهم فى نهاية الأمر فى عام ١٩٣٤ cf. Dickson, op. cit. P. 328

راجع مجلة الكويت اصدار عبد العزيز الرشيد أعداد ١٩٢٦ ، ١٩٢٨

أحمد الجابر أنه لا توجد خلافات بين الامارتين الشقيقتين ، وطلب منه أن يعود الى بلاده ليتسلم مقاليد الحكم فى امارته[١] .

ومع ذلك فان الخلاف لم يلبث أن ظهر مرة ثانية بين عبد العزيز والشيخ أحمد الجابر ، ويرجع هذا الخلاف الى عوامل اقتصادية نتيجة فرض عبد العزيز الحصار على التجارة بين ممتلكاته والكويت ، موجها بذلك ضربة اقتصادية للكويت ، اذ أن تجارة الكويت مع المناطق الداخلية كانت احدى العوامل الرئيسية لازدهار الامارة . وظلت الكويت ما يقرب من عشرين عاما تواجه الحصار الذى فرضه ابن سعود عليها مما شكل تهديدا لاقتصادها . صحيح أن بعض التجار كانوا يقومون بشراء البضائع من الكويت وتهريبها الى الداخل ، ولكن معظم هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل بسبب العقوبات الصارمة التى كان عبد العزيز ينزلها بأولئك الذين يقبض عليهم بجرم مخالفة ارادته .

ولعل مادعى عبد العزيز الى التشدد فى موقفه أن الكويت كانت تعد منفذا رئيسيا الى نجد ، الى جانب منفذها الآخر على البحر الأحمر ، ولذلك رأى ابن سعود تحويل رعاياه الى طريق البحر الأحمر ، طالما كان لا يستفيد من منفذ الكويت ، وبطبيعة الحال صادف رعايا ابن سعود صعوبات كثيرة ، اذ كانت نجد تستورد أكثر حاجياتها من الكويت ، ولذلك رأى حلا للمشكلة أن يطلب من شيخ الكويت بأن يكون للسعودية مركز جمركى داخل الحدود الكويتية السعودية ، يكون مديره سعوديا ، ولكن الشيخ أحمد الجابر رفض هذا الطلب اذ عده ماسا بسيادته[٢] ، مما حدا بابن سعود أن يتشدد فى فرض الحصار الاقتصادى لكى تنحصر التجارة فى جمارك الجبيل والعقير التابعة للسعودية ، أما الكويت فقد لحقت بها هى الأخرى أضرار اقتصادية بعيدة المدى من جراء هذا العمل الذى علله ابن سعود بعدم حصوله على الضريبة الجمركية

---

(١) Dickson, op. cit. P. 257
انظر ايضا عبد العزيز الرشيد ـ تاريخ الكويت ص ٢٢٧/٢٢٨

(٢) الرحان ـ مختصر تاريخ الكويت ص ٦٧ وكذلك زهرة فريث ـ الكويت كانت منزلى ص ٣٣

من رعاياه الذين يتاجرون فى الكويت ، فى الوقت الذى هو فى أشد الحاجة اليها [١] .

ترتب على مشكلة المسابلة اذن ، تدهور اقتصاديات الامارتين معا ، هـذا بالاضافة الى ما كان يلقاه النجديون من صعوبات نتيجة لذلك ، اذ كان أهالى نجد يفضلون الكويت للمسابلة لأنها أقرب اليهم من ناحية ، ولأنهم كانوا يجدون فى أسواقها ما يحتاجون اليه من ناحية أخرى ، فضلا عن أن تجار الكويت كانوا كثيرا ما يتساهلون معهم ، خاصة وقد عرف عن البدو شدة وفائهم بالتزاماتهم . وكان لسلطنة نجد جمارك ثلاث فى العقير والقطيف والجبيل ، وكان عبد العزيز يفضل بطبيعة الحال ، أن يجلب أهالى نجد حوائجهم من احدى هذه الأسواق النجدية فى الاحساء ، ومن هنا كان تشديده فى تحريم رعاياه من المسابلة فى الكويت طالما كان لا يستفيد منها . وعلى الرغم من أن هذا الموقف كان موقفا لاغبار عليه من ناحية ابن سعود ، الا أن المشكلة هى أن أهالى نجد كانوا لايستطيعون أن يدفعوا ثمن ما يشترونه من حوائج ، كما هى الحال غالبا ، اذا جاءوا الكويت للمسابلة ولما كان عبد العزيز يقدر ذلك ، فقد اقترح تسهيلا للفريقين المسابلين ، النجديون والتجار الكويتيون ، أن يعين فى الكويت وكلاء له يجمعون رسما على كل ما يشتريه أهالى نجد ــ وطلب ان يكون هذا الرسم بواقع ٧٪ ، ولكن الشيخ أحمد الجابر رفض هذا الطلب محتجا بحق السيادة للكويت ، وحاول عبد العزيز أن يصل الى تسوية ، بأن يجعل شيخ الكويت يعين من قبله من يجمع الضرائب له ، ولكن زعماء آل صباح لم يقبلوا تلك التسوية وأكدوا أنهم ليسوا جباة خراج لسلطان نجد . وقد اقترح البعض أن يقيم ابن سعود نقطا جمركية على طول الطرق التى تجتازها قوافل التجارة الخارجة من الكويت فى الجهرة والصيحية والدويش [٢] . كما حاول الشـيخ أحمد الجابر أن يؤثر على عبد العزيز بالهدايا ، ومع ذلك استمرت المشكلة ــ لعدة سنوات تالية ــ

---

(١) الفرحان ــ المصدر السابق ص ٩٨

(٢) أمين الريحانى ــ ملوك العـــرب أو رحلة فى البلاد العربية جـ ٢ ص ١٦٢/١٦٤

دون حل تقريبا [١] ، ولم تستطيع معاهدة العقير بين السعودية والكويت أن تصل الى حل للمشكلة على الرغم من أن هذه المعاهدة عنيت بتخطيط الحدود بين الامارتين ، ومعاهدة العقير ليست فى تقديرنا الا واحدة من تلك التسويات العديدة التى فرضتها بريطانيا عقب الحرب العالمية الأولى ، فهى تشابه معاهدة السيب التى وقعت فى عام ١٩٢٠ ، بين سلطنة مسقط وزعماء الامامة فى عمان ، ومعاهدة البحرا والحدا ، ومعاهدة المحمرة ، مع ملاحظة أن المعاهدة الأخيرة التى وقعت بين السعودية والعراق قد اعترض عليها ابن سعود اعتراضا شديدا وحمل البعثة السعودية أنها غالت فى تفسير تعليماته ، واقترح اعادة مناقشة موضوع الحدود مع السير برسى كوكس فى مؤتمر تقرير عقده فى ميناء العقير فى شتاء ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ، وقد حضر فى هذا المؤتمر ممثلين عن السعودية والكويت والعراق ، كما هيمين السيربرسى كوكس على جلسات المؤتمر ، وعلى الرغم من أن الأمير عبد العزيز بن سعود كان فى قمة انتصاراته كسيد للجزيرة العربية خاصة بعد تخلصه من آل الرشيد فى حائل عام ١٩٢٢ الا أن برسى كوكس استطاع أن يضمن فى هذا المؤتمر من ابن سعود حماية العراق والكويت من اعتداءات السعوديين ، الى جانب حماية امارات الخليج الأخرى ، وتم ذلك بتوقيع بروتوكول العقير الذى ألحق بمعاهدة المحمرة [٢] .

وقد عنى مؤتمر العقير ــ بصفة خاصة ــ بدراسة مشكلات الحدود بين نجد والكويت ، ومثل الكويت فى المؤتمر الماجور « مور » الوكيل البريطانى فى الكويت ، وهذا مما يدعم وجهة نظر الكويت فى الاعتراض على الحدود التى وضعت بينها وبين السعودية وقد تمخضت الاتفاقية بين نجد والكويت على مايأتى : ــ

أولا : تعيين الحد الجنوبى لأراضى الكويت .

---

(١) بقيت مشكلة المسابلة قائمة بين نجد والكويت ما يقرب من عشرين عاما جرت فى خلالها مفاوضات عديدة بين الحكومتين السعودية والكويتية بوساطة ديكسون حتى تم الاتفاق بين البلدين ، ولا شك أن ظهور البترول كان لهما الأثر الحاسم فى حل هذا الخلاف اذ عقدت بين البلدين معاهدة حسن جوار وصداقة عام ١٩٤٠ ، انظر الفرحان ــ مختصر تاريخ الكويت ص ٩٨ ، وفريث ص ٣٣

(٢) Philby, Sa'udi Arabia P. 284.

ثانيا : تعيين حدود الاقليم المحايد فى الجنوب بين حدود الكويت الجنوبية وحدود الاحساء الشمالية .

ثالثا : الاتفاق على أن يمارس كلا من حاكمى نجد والكويت حقوقا متساوية ، وفى حالة اكتشاف البترول يقتسم دخله مناصفة ، ويتم التقاضى بواسطة مجالس عرفية مختلطة ، يقوم كل حاكم بتعيين عدد من أعضائها .

والواقع كما يقرر الكثيرون ، وكما هو واضح لدينا ، أن القرارات التى اتخذت فى مؤتمر العقير ، كانت بمثابة قرارات فرضها السير برسى كوكس على كل من الكويت والعراق ونجد[١] . وقد عرض لنا ديكسون الجو الذى كانت تسود فيه المحادثات التى يصفها بأنها كانت مثيرة للغاية ، وقد اعتبر برسى كوكس نفسه محكما بين نجد والعراق والكويت . وأكد أن المؤتمر لن يفض الا اذا تم وضع التسويات الخاصة بالحدود . وحقيقة الأمر أنه لم تكن هناك مفاوضات منطقية ، وانما كانت كل أمارة تضع مطالب خيالية ، فقد أكد مبعوث العراق أن حدود بلاده تمتد جنوبا الى قرب العاصمة السعودية ، وتمتد غربا الى البحر الأحمر لتشمل حائل والمدينة وينبع ، وشرقا لتشمل الهفوف والقطيف على الخليج .

اما ابن سعود فقد ذكر أن مقاطعات نجد تمتد شمالا الى حلب فى شمال سوريا ، كما تشمل جميع المقاطعات الواقعة على الساحل الأيمن للفرات من البصرة حتى الخليج .

واستمرت المحادثات يسودها المغالاة أحيانا ، والاعتدال أحيانا أخرى ، وعلى الرغم من أن ابن سعود كان على علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية ، فانه وجد نفسه عقب الحرب محاطا بدول أوجدها حلفاؤه ، وكان يأمل فى طرد الملك حسين من الحجاز ، وأن يصل بحدود ممتلكاته الى الأردن فى الشمال الغربى ، والعراق والكويت فى الشمال الشرقى ، ولكنه مع ذلك كان لا يرضى بالمجازفة فى تحدى انجلترا ، ولذلك حاول أن يحصل فى المؤتمر على مكاسب اقليمية بموافقتها[٢] . أما السير برسى كوكس ، وهو الذى سيطر على قرارات المؤتمر

---

(١) Dickson, op. cit., PP. 272-273.

(٢) Marlowe, op. cit. P. 75.

كما سبق أن أشرنا ، فقد ألحق بالحدود الجنوبية للعراق مقاطعات واسعة كانت تطالب بها نجد . كما حرم الكويت ثلثى مقاطعاتها وأعطاها لابن سعود ، وكان منطق « كوكس » فى تصرفه هذا ، أن قوة ابن الصباح ، أصبحت أضعف مما كانت عليه عند توقيع الاتفاق الانجليزى التركى ، وذلك فيما يختص بعلاقاته مع البدو الضاربين فى الصحراء ، ومع ذلك فلم يكن عبد العزيز بن سعود قانعابهذه التسوية ، وحمل السير برسى كوكس مسئولية حرمانه من الامتداد بحدوده الطبيعية فى العراق ، أما شيخ الكويت فقد استاء بطبيعة الحال لقرارات مؤتمر العقير ، واعتبر « برسى كوكس » بدوره هو المسئول عن استلابه لممتلكاته واعطائها لسلطان نجد ، وقد أكد له «كوكس» أنه لولم يفعل ذلك لكان ابن سعود أثار نزاعا واستولى عليها عنوة ولم يرض أن يضع توقيعه على اتفاق العقير ، الا بعد أن انتزع وعدا شفهيا من « برسى كوكس » بأن يكون له الحق فى العودة فى المستقبل الى الاستيلاء على هذه المقاطعات عندما تزداد قوته . والى أن مات الشيخ أحمد الجابر كان يشعر أنه غبن فى اتفاق العقير . وقد أكد لديكسون المقيم السياسى فى الخليج أنه كان يعتبر « برسى كوكس » كوالده ، وأنه كان لايعترض على اقتطاع بضع كيلومترات من ممتلكاته ، ولكنه فوجىء بانتزاع معظم هذه الممتلكات[١] ، وأشار ديكسون أن الشيخ أحمد الجابر ، كان كثيرا ما يؤكد له أنه لا يزال يعتبر المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية جزء لا يتجزأ من ممتلكاته ، وأنه لا يوافق على أن يناصف ابن سعود امتيازات البترول فيها[٢] .

والجدير بالذكر أن تخطيط الحدود بين الكويت والعراق كانت تطابق الاتفاق الانجليزى التركى (١٩١٣)وهى الحدود المبينة باللون الأخضر . ومع ذلك كانت الحكومة البريطانية تحرص حرصا شديدا على الاشارة الى هذه الاتفاقية فى مباحثاتها مع شيخ الكويت ، ويفهم من ذلك أنها كانت لاتود الزام شيخ الكويت بمثل ما التزم به ابن سعود ازاء هذه الاتفاقية ، ومما يستلفت النظر أيضا أنه على الرغم من أن مؤتمر العقير خطط الحدود بين نجد والكويت والعراق ، الا أنه لم يضع اتفاقا بشأن الحدود الشرقية ، والجنوبية الشرقية

---

(١) Dickson, op. cit. P. 278.

(٢) Ibid, op. cit.

للسعودية ، مما سيثير نزاعا اقليميا حادا فيما بين الحكومتين البريطانية والسعودية فيما بعد [١] .

كانت تسوية العقير أهم التسويات التى وضعتها بريطانيا فى أعقاب الحرب العالمية الاولى فى منطقة الخليج العربى ، وقد مست حدود كلا من سلطنة نجد وامارة الكويت ، ويمكننا أن نضيف الى تلك التسوية معاهدة السيب ، التى عقدت بين امامة عمان ، وسلطنة مسقط ، وقد أبرمت هذه التسوية بوساطة الحكومة البريطانية كنتيجة من النتائج التى ترتبت على اشتعال الثورة الاباضية ابان الحرب العالمية الأولى ، غير أنه ينبغى أن نؤكد هنا أنه لا علاقة بين الثورة العمانية وبين الحرب العالمية الأولى ، لأن هذه الثورة قامت أساسا ضمن سلسلة المحاولات التى بذلها الاباضيون لاعادة بعث الامامة ، والأحرى أن نقول أن هذه الثورة قد استفادت من نشوب الحرب ، وكانت تمثل مركزا هاما من مراكز التصدى للنفوذ الانجليزى الذى حاولت الحكومة البريطانية فرضه على كل بقعة من بقاع الخليج ، وتعود أسباب هذه الثورة الى زيادة النفوذ البريطانى فى مسقط خاصة بعد أن نجحت بريطانيا فى القضاء على منافسة فرنسا ، واخضاع السلطان لمطالبها ، فيما يتعلق بأمور التجارة بالسلاح والرقيق ، وقبوله استغلال بريطانيا لموارد عمان الداخلية . واختلفت الثورة العمانية فى هذه المرة عما سبقها من ثورات ، أنها لم تكن ثورة دينية صرفة استهدفت تطبيق التعاليم الاباضية ، كما أنها لم تكن انقلابا فى أحد فروع الأسرة الحاكمة فى مسقط ، وانما بدت فيها بوادر الحركة القومية واضحة . وقد حاول السلطان فيصل بن تركى تنصيب نفسه اماما على المذهب الأباضى ، على أن الخلاف بينه وبين زعماء الامامة ، يرجع الى تمسكه بأن يكون اماما وسلطانا ، فضلا عن رفضه الموافقة على الكثير من مطالبهم ، وأخذت الثورة تحرز تقدما هائلا ، بفضل التعاون الذى تم بين زعمائها ، وتمكين الصلح بين القبائل الغافرية والهناوية ، وأصبح الشعور ضد أسرة البوسعيد قويا ، الى درجة أن أحدا لم يهتم باتتخاب أى

---

(١) راجع نص المواد ٥ ــ ٦ ــ ٧ من الاتفاق الانجليزى التركى يوليه عام ١٩١٣

(٢) راجع التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية جـ ١ العرض التاريخى جـ ٢ ، ٣ الوثائق والملاحق . ويمكن الرجوع أيضا الى العرض المقابل الذى تقدمت به المملكة المتحدة .

فرد من أفراد الأسرة الحاكمة فى مسقط ، وانما استقر الرأى على انتخاب الامام راشد الخروصى[١] ، وزاد من خطورة هذه الثورة ، ما كانت تخشاه بريطانيا من استغلال الألمان لها ، وتذهب الكثير من المصادر أن الألمان قد ساعدوا الثوار الأباضيين بالفعل ضد السلطان الموالى للانجليز ، بل ذهب (مارلو) أن الوكلاء الألمان هم الذين حركوا هـذه الثورة[٢] ، على الرغم من أننا لانستطيع أن نستبعد خضوع تلك الثورة لمؤثرات أجنبية الا أننا لا نوافق على المغالاة فى هذه المؤثرات ، استنادا على دراستنا لطبيعة الثورة الأباضية — وكل ما نستطيع أن نقوله أن الثورة ربما تكون قد تأثرت معنويا بالدعاية الألمانية ، التى نشطت من مراكزها فى شرق أفريقيا ، تشجع الثوار ، وتؤكد لهم بأن النجدة الانجليزية لن تأتى ، بل وصلت الدعاية الى حد الادعاء بأن الامبراطور (ويلهلم الثانى) اعتنق الاسلام ، وأن اسمه أصبح الحاج محمد غليوم وأن قواته تحرز انتصارات فى كل مكان ضد المسيحيين .

وفى يناير ١٩١٥ ، تقدم الشيخ عيسى بن صالح ، والامام الخروصى ، على رأس ثلاثة آلاف مقاتل ، بهدف غزو مسقط والاطاحة بالسلطان . وعلى الرغم من أن مسقط لم تكن معززة الا بحاميات هندية صغيرة العدد ، الا أن هذه الحاميات استطاعت رد الهجوم غير المنظم الذى وجهه الثوار اليها ، وعلى الرغم من أن الثوار العمانيون ردوا على أعقابهم وانسحبوا الى الداخل ، الا أنهم مع ذلك لم يستجيبوا للصلح ، لاعتقادهم بانتصار الألمان فى الحرب ، وكان من رأى زعمائهم الصمود حتى معرفة ما ستتمخض عنه الحرب . حقيقة أن الثورة توقفت بعد قذف المدفعية البريطانية لكل من بركة وقريات ، وبفضل الدفاع القوى الذى قامت به القوات الهندية ونجاحها فى احتلال بيت الفولاج واحكام السلطات البريطانية سيطرتها على مخزن السلاح فى مسقط Warehouse وتحكمها فى تصدير الأسلحة وبيعها ، ولكن استمر زعماء الامامة فى صمودهم نتيجة لتأثرهم بالدعاية الألمانية من ناحية ، ونجاحهم فى احتلال وادى سمائل من ناحية أخرى . وحول ذلك الوقت (فبراير ١٩١٥) وصل اللورد هاردنج الى

---

(١) مجلة لغة العرب ـ سقوط مسقط نقلا عن جريدة المنار جـ ١٦ ، ١٣٣١ ص ٩٣١/٩٤٣

(٢) Marlowe, op. cit. P. 76 see also Sanger, The Arabian Peninsula P. 192.

مسقط ضمن رحلته العامة الى امارات الخليج العربى ، وعند التقائه بالوكيل السياسى فى مسقط أوضح له الأخير المصاعب الجمة التى يتعرض لها من جراء الثورة العمانية ولخص له الموقف على الوجه الآتى :

أولا : لا يزال الثوار قابضين على زمام الموقف باحتلالهم وادى سمائل وحصنة .

ثانيا : اكتسبت الثـــورة العمانية طابعا دينيا ، وأخذ الامام ينادى بالجهاد ، أضف الى ذلك أن القوات الهندية قتلت عددا كبيرا من الثوار مما أثار شعورا قويا من الاستنكار ، أصبح من الصعب تهدئته .

ثالثا : ان عرض منح على قبائل الداخل قد لا يكون فيه اغراء قوى اذ أن الامام قد يمنعه الحرج الدينى من قبول أية رشـــوة ، كما أن زعماء الامامة يتمتعون بدخل طيب بفضل استيلائهم على الكثير من الأراضى .

رابعا : ان خفض قوة الحاميات الهندية الى مستواها الطبيعى سيترك السلطان دون أى سند ، خاصة وأن السفن البريطانية ليست ، نظرا لظروف الحرب على مقربة من مسقط ، كما جرى عليه الحال فى زمن السلم .

ولهذه الأسباب التى أوضحها الوكيل السياسى ، نصح اللورد (هاردنج) السلطان تيمور بن فيصل ، وهو الذى خلف أباه فيصل بن تركى ، أن يسالم الثوار ، وأن يعقد معهم صـــلحا ، بعد أن أعلن له صراحة أن الانجليز لن يتمكنوا من تقديم ما يحتاج اليه من حماية الى أجل غير مسمى ، بسبب سيطرة قوات الامامة على وادى سمائل ، فضلا عن أن دعوة الامام بالجهاد الدينى قد تكون دعوة خطيرة فى تلك الظروف الدقيقة على الأقل ، لأن الانجليز كانوا يفاوضون الحسين بن على ، لاعلان الجهاد المقدس ، ضد العثمانيين ، ولا بد أن تؤدى دعوة امام عمان للجهاد ، الى مصاعب بالغة ، لا سيما فى الهند وجزيرة العرب وشمال أفريقيا ، وعلى أى حال فقد أصبح الوضع مجمدا طيلة سنوات الحرب ، ولم يكن الانجليز فى خلال تلك الســـنوات يهتمون ، الا بأحكام السيطرة على موانى مسقط . وعندما انتهت الحرب ، بذلوا كل ما فى وسعهم لاقرار الأوضاع بين الامامة والسلطنة ، فقد حاول القنصل البريطانى فى مسقط تنظيم مقابلة بينه وبين الشيخ عيسى ، نائب الامام للتفاوض فى عقد

الصلح ، كما بعث القنصل البريطانى برسالة الى زعماء الامامة يطلب منهم وقف اطلاق النار وجاء فى هذه الرسالة : « . . . أكتب اليكم بالخصوص لأخبركم أن ارادتنا هى أن نساعد على تأليف حكومة فى كل البلاد العربية ، لتحكم حسب عوائدها ، وحيث تخلص العرب من ربقة جور الأتراك ، فالرجاء وثيق أنهم سيتقدمون فى أمورهم على الطريقة العربية الطيبة ، وبما أن الفرصة قد سنحت الآن لكى نلتفت الى عمان ، فانه من الواجب أن أشرح لكم سياستنا .. »، وبعد أن أوضح القنصل البريطـــانى أنه يريد التباحث مع العمانيين لاقرار السلام فى المنطقة فانه أخذ يهددهم بقوله :

« ... ان لدينا خمسمائة ألف من العساكر المدربة على الحروب فى العراق ، وقد فرغوا من أعمالهم الحربية ، ولا حاجة لنا بهم هناك ، وبضعة آلاف منهم تكفى للاستيلاء على عمان بأسرها ، لو أننا أردنا بكم سواء ، والسيد تيمور يخالفكم فى أنه يحاول أن يكون على صداقة معنا .. » . كما تضمنت الرسالة تهديدا اقتصاديا باحكام ســيطرة بريطانيا على السواحل ، جاء فيه : « ... ان الحاكم المتولى على السواحل لا يعجز عن فرض الخراج على ما يذهب اليكم ... وتعلمون كذلك أن زمام أمور البحر فى أيدينا ، فان كنتم تريدون مناصبتنا العداء فلن نسمح أن يباع لكم الأرز أو القمح أو الأثواب التى تلبسونها ، ولن نبيح لكم بيع تموركم ، مع العلم بأن كل تجارتكم لا تجرى الا فى بلادنا ، ولكن اذا كنتم مستحسنون صداقتنا ، فاننا سوف نقوم بمساعدتكم ، كما نساعد الآن السيد تيمور ... لكن ان لم ترضوا الآن أن تعاونونا ، فالعواقب الوخيمة ستحل بكم ، وليس بنا ، ومن المتعذر أن نكون أصدقاء لمن لا يريد صداقتنا »[1] .

وعلى الرغم مما يبـــدو من الحاح بريطانيا ولجوئها الى التهديد لاقرار الوضع بين الامامة والسلطنة ، فان زعماء الامامة حرصوا من جانبهم على عقد هذه المعاهدة ، وكانوا أكثر تقديرا لحقيقة الموقف الذى ترتب على سيطرة بريطانيا

---

(١) Question of oman, Report of the Ad-Hoc Committee on Oman, United Nation General Assembly distr. General A 5846, 1956 PP. 80FF.

كنا قد أخذنا هذه الوثيقة من مكتب امامة عمان بالقاهرة كما يوجد نصها باللغة الانجليزية الى جانب غيرها من الرسائل التى تبودلت بين الشيخ عيسى والقنصل البريطانى فى مسقط فى المصدر المشار اليه .

على الساحل ، وما قد يؤدى اليه ذلك من تضييق الحصار على الامامة ، اذ بوسع بريطانيا فى هذه الحالة أن تخنق الامامة سياسيا واقتصاديا[١] .

وعلى الرغم ما فى هذه الرسالة من عبارات التهديد ، فانها تتضمن أيضا الاعتراف باستقلال عمان ، وقد تأكد هذا الاعتراف فى العام التالى بتوقيع اتفاقية السيب التى وقعها نيابة عن الامام ممثله الشيخ عيسى بن صالح الحارثى ، ومن قبل السلطان المستر (وينجت) Wingate القنصل البريطانى فى مسقط وقد تعهد السلطان بموجب هذه المعاهدة بعدم التدخل فى شئون عمان الداخلية ، كما تعهد ممثلو الامامة من جانبهم ، بأن يمتنعوا عن الهجوم على مسقط . وقد رحبت الحكومة البريطانية بهذه الاتفاقية ، التى عقدت بواسطتها ، واعتبرتها نهاية لصراع طويل بين الامامة والسلطنة ، وبداية لعهد مستقر لسلطنة مسقط التى كانت تتعرض دائما للتهديدات والغزوات من عمان الداخلية .

والجدير بالذكر أن معاهدة السيب ، ظلت الى فترة طويلة ، تثير جدلا قويا بين الحكومة البريطانية ، المتحدثة باسم سلطان مسقط ، وبين زعماء الامامة . ومما يزيد التساؤل والغموض عدم وجود نص رسمى يمكن الاعتماد عليه لتلك المعاهدة . ويؤكد زعماء الامامة أنهم وقعوا هذه المعاهدة باعتبارهم ممثلين عن الامام ، بينما تؤكد الحكومة البريطانية أن ديباجة المعاهدة لم ينص فيها على الامام ، وانما كل ما جاء فيها : « ... هذا هو الصلح المتفق عليه بين حكومة السلطان تيمور بن فيصل ، والشيخ عيسى بن صالح بن على ، عن سكان عمان » كما أنه لايوجد تصديق من الامام على هذا الصلح المشار اليه . ولكن زعماء الامامة يؤكدون أن هناك نص آخر للمعاهدة ، مصدقا عليه من قبل الامام . وان كانوا قد عجزوا عن اظهار هذا النص بدعوى فقدهم له فى احدى الاغارات التى تعرضت لها امامة عمان من قبل مسقط .

وعلى الرغم من أننا لم نعثر على نص رسمى للمعاهدة ، اذ عملت كل من الحكومة البريطانية ، وحكومة سلطان مسقط ، جاهدتين على تحاشى نشر

---

(١) cf. Memorandum Subimtted to the Committee by the United Kingdom cf. The Relationship between the united kingdom & sultanate of Muskat and Oman, United Nation official Records A/5846 Annexxi P. 1.

المعاهدة ، الا أنه من المعروف أن معاهدة السيب قررت أربعة مواد لصالح الامامة ، وأربعة أخرى لصالح السلطنة ، ويمكن أن نعرض لهذه المواد فيما يأتى :

أولا : المواد الخاصة بالامامة :

(ا) لاتفرض ضرائب أكثر من ٥٪ على البضائع الواردة من عمان الى موانى مسقط ومطرح وصور .

(ب) ترفع جميع القيود على دخول العمانيين موانى مسقط ومطرح وغيرهما من موانى الساحل .

(ج) يتمتع العمانيون بالحرية والأمان عند ذهابهم الى مدن الساحل .

(د) تتعهد حكومة سلطان مسقط بتسليم اللاجئين الهاربين من عدالة عمان .

ثانيا : أما المواد الخاصة بالسلطنة فهى :

(ا) يتعهد شيوخ وزعماء قبائل عمان بعدم مهاجمة المدن الساحلية ولا يتدخلون فى شئون الحكم فى مسقط .

(ب) يتمتع أهالى مسقط المشتغلون بالتجارة ، بالحرية والأمان فى مقاطعات عمان .

(ج) تسليم اللاجئين الهاربين من مسقط .

(د) تقرر مطالب التجار للعمانيين على أساس تعاليم الاسلام[1] .

والجدير بالذكر أن هذه المواد ، تم استنتاجها من اقوال الرحالة والموظفين الرسميين الذين زاروا مسقط ، وقد أكد هؤلاء استقلال عمان عن سلطنة مسقط . ذكر « ولفرد ثيجر » Thesiger فى كتابة (رمال العرب) وقد وضع هذا الكتاب بعد أن قضى وقتا طويلا فى الطواف بعمان وما جاورها ، أنه فى عام ١٩٢٠ وقعت معاهدة بين السلطان والعمانيين وافق السلطان بمقتضاها

---

(١) انظر دراستنا عن الأصول التاريخية لقضية عمان مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد الثانى عشر ١٩٦٤/١٩٦٥

على ألا يتدخل فى شئون عمان الداخلية[١] — أما الكابتن G. Z. Eccles[٢] وكان متوليا قيادة قوات السلطنة فى بيت الفولاج ، فقد أشار الى اتفاق السيب بقوله : « . . . أن ثمة معاهدة وقعت عن طريق وساطة الوكيل السياسى فى مسقط » أما المستر « برترام توماس » Bertram Thomas وهو الذى كان وزيرا ومستشارا ماليا لسلطان مسقط فى الفترة من ١٩٢٥ الى ١٩٣٠ ، فكان أكثر تحديدا فيما كتب ، اذ قال : « .... أمكن الوصول الى تسوية تقوم على أساس الحالة الراهنة وبمقتضاها ظل السلطان من الوجهة القانونية على مسقط وعمان ، على أن تكون لقبائل الداخل حكومة من بينهم ، تعتمد على أساس الأمر الواقع ، لتدبير شئونهم المحلية البحتة »[٣] . وعلى الرغم من أن « برترام توماس » كان أكثر تحديدا ، كما أشرنا ، الا أن العبارة التى أوردها ، يحتمل تفسيرها بأكثر من تفسير واحد ، فقد تعنى أن السلطان ظل سلطانا على مسقط وعمان لا لسبب سوى أنه كان يدعى هذا اللقب لنفسه منذ زمن بعيد ، وأن الحكومة البريطانية كانت قد اعترفت بلقبه هذا منذ أمد طويل ، أو قد تعنى أن ممثلى الامامة أقروا قانونية هذا اللقب ، مما يضعف من مركزهم بطبيعة الحال وان كانت المبادىء التى قامت على أساسها الامامة الأباضية ، واصرار زعماء الامامة على أن السلطان لم يعترف به فى عمان ، كل هذا يلقى فى تقديرنا شكا على التفسير الأخير .

أما القنصل الفرنسى R. Vadala الذى ذهب الى مسقط فى عام ١٩٢٠ ،ليغلق القنصلية الفرنسية هناك ، فقد كتب معقبا على اتفاق ١٩٢٠ بقوله : « كانت الحرب قد ظلت ناشبة سبع سنوات بين سلطان مسقط وداخلية عمان ، ولم تنته الا فى ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ ، يوم وقعت وثيقة الصلح فى السيب بين السلطان تيمور بن فيصل ، والشيخ عيسى بن صالح » وذكر أن القنصل البريطانى فى مسقط ، كان الوسيط فى عقد هذه التسوية ، التى بمقتضاها ، حق لأهل مسقط وعمان ، أن يتاجروا ويسافروا بحرية وأمان ، ولكن فرضت ضريبة مقدارها ٥٪

(١) Cf. Wilfred Thesiger, Arabian Sands London 1959.

(٢) Le cture delivered by captain Eccles in the Central Asian Society 27 Oct. 1927.

(٣) Bertram Thomas, « Finance Minister and Wazir to H.H. The sultan of Muscat & Oman »,
Arab Rule Under the Al Busaid Dynasty in oman and East Africa, London, 1934 PP. 24—26.

على جميع سلع الداخل عند وصولها الى مسقط . وبفضل هذا الصلح الذى كان ينتظر أن يعقبه اتفاق سرى ، يحظر كل تدخل أجنبى ، صارت عمان هادئة ، والواقع أننا لم نعثر على نصوص هذا الصلح الذى أشار اليه Vadala غير أنه اذا سلمنا بتوقيع وثيقة الصلح هذه ، فان هذه التسوية مع ذلك لم تحل مشكلات السلطنة تماما ، اذ أخذ عرش السلطان يهتز حتى بعد توقيعها ، مما اضطر الانجليز للتدخل للحيلولة دون انهياره ، ويؤكد (برترام توماس) بصدد ذلك أن مساعدة بريطانيا هذه المرة (التى أعقبت معاهدة السيب) لم تنصرف الى رد الهجمات التى كانت تتعرض لها السلطنة ،انما جاءت فى شكل قرض قدمته حكومة الهند لتصفية ديون السلطنة وللعمل على تنظيم فيلق يتولى قيادته ضابط بريطانى ، كما اهتمت الحكومة باصلاح المحاكم وانشاء مجلس يتولى الحكم باسم السلطان فى حالة غيابه ، كما نصح السلطان بأن يستعين بخدمات وزير بريطانى ، كاجراء مؤقت[١] ، كما تعهد السلطان بعد ذلك بألا يمنح امتياز الزيت لأية دولة غير بريطانيا .

* * *

كانت هذه هى أهم المشكلات التى واجهت بريطانيا فى خلال وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، فى كل من الكويت ونجد ومسقط وعمان ، أما بقية مناطق الخليج فلم تحدث فيها مشكلات تذكر ، بل على العكس ، تمخضت الحرب العالمية الأولى وما لابسها من ظروف ، عن توطيد دعائم السيطرة البريطانية بصورة أقوى ، فالبحرين مثلا لم تتأثر بأحداث الحرب ، الا بقلة دخلها من اللؤلؤ ، كذلك لم تتأثر بحركات التوسع السعودى[٢] ، ذلك أن صناعة اللؤلؤ فى البحرين قد تعرضت الى التدهور خلال سنوات الحرب ، ثم عادت الى الانتعاش ، الى أن تعرضت للمنافسة اليابانية ، حيث أخذت تستعيض بعد ذلك عن قلة دخلها ، بتحولها الى عصر البترول وكانت البحرين خلال الحرب العالمية الأولى مركز تجمع للقوات الهندية ، وقاعدة بريطانية هامة ، استخدمت لحشد الجنود للاعداد لحملة العراق ، حقيقة أن بريطانيا تعرضت لبوادر حركة

---

(١) علم الرغم من أن تعيين الوزير البريطانى كان اجراء مؤقتا الا أنه استمر لفترة طويلة فى سلطنة مسقط .

(٢) Marlowe, op. cit. P. 76.

وطنية فى البحرين ، الا أنها استطاعت أن تخمد هذه الحركة التى قامت نتيجة لمحاولة بريطانيا تطبيق القانون الهنـــدى على البحرين والذى عرف باسم Bahrein Order in Council [١] ، ولكن ظروف الحرب اضطرت بريطانيا الى تأجيل ذلك ، ولما انتهت الحرب وشرعت فى تنفيذ القانون ، ثار شعب البحرين وكونوا مجلسا يضم رؤســائهم ويخول لهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ، ورؤساء الدوائر ، وعزل غير الوطنيين ، واتخاذه الأســباب اللازمة لحفظ حقوقهم ، ولما وجدت بريطانيا أن هذا المجلس قد يضر بنفوذها ، بدأت تثير العصبيات العنصرية والمذهبية بين السنة والشيعة ، والفرس والعرب ، مما ترك الفرصة للتدخل الفارسى الذى زاد الأمور اضطرابا . وعندما بلغ الاضطراب حدا بالغا ، طلب المقيم السياسى فى بوشهر عزل الشيخ عيسى ، لاستجابته للحركة الوطنية وموافقته على تشكيل جمعية تشريعية ، وتنظيم بوليس وطنى ، والموافقة على اللائحة الاصــلاحية ، التى تقدم بها اليه الوطنيون ، وبالفعل اضطر الشيخ عيسى الى التنازل عن الحكم لابنه حمد ، وتبع العزل سلسلة من الاجراءات التعسفية ، استبد الماجور (ديلى) Duliey فيها بالأمر ، وقد أجاب الوطنيون على ذلك بالدعوة الى مؤتمر البحرين الذى انعقد بالفعل فى ٢٦ يونية ١٩٢٣ ، وحدد مطالبه على الوجه الآتى :

أولا : عدم الاعتراف بعزل الشيخ عيسى .

ثانيا : عدم تدخل القنصل البريطانى فى حكومة البحرين .

ثالثا : رفض القانون الهندى ، والاصرار على أن تجرى الأحكام طبقا للشريعة الاسلامية .

وقد انتهى المؤتمر بانتخاب هيئة تنفيذية ، تقوم بتنفيذ تلك القرارات ، ولكن استطاعت بريطانيا أن تقمع هذه الحركة سريعا وهى ما زالت تتعثر فى خطواتها الأولى [٢] .

أما امارة قطر ، فقد بدأت مرحلة جديدة فى العلاقات بينها وبين بريطانيا ، فعند نشوب الحرب أجلت المدرعات البريطانية الحامية التركية من مدينة الدوحة ،

---

(١) ارجع الى مواد هذا القانون فى :

Bahrein order in Council, 1913 Ind. Off. Political & External File Vol. 520 File 951 Part. 1

(٢) الريحانى ـ ملوك العرب ص ٢٤٠/٢٤٨

وفى معاهدة (دارين) التى وقعتها بريطانيا مع عبد العزيز آل سعود ١٩١٥ أشير فيها الى شيخ قطر بأنه واقع تحت الحماية البريطانية ، على الرغم من أنه لم تكن هناك معاهدة تربطه بالانجليز ، باستثناء الاتفاقية الانجليزية التركية ، التى لم يصادق عليها ، والتى أشير فيها الى مشيخة قطر بأنها امارة مستقلة يتوارث حكامها من آل ثانى الحكم ، وفى ٣ نوفمبر ١٩١٦ وضعت قطر رسميا تحت الحماية البريطانية ، اذ اشترك عبد الله بن قاسم فى المعاهدات والاتفاقيات التى ارتبط بها أمراء ساحل عمان الخاصة بمكافحة القرصنة ، وتجارة الرقيق ، والمحافظة على سلامة الملاحة فى الخليج ، وفى الوقت نفسه وقع الشيخ عبد الله وثيقة منفصلة تضمنت قيودا معينة تحرم استيراد الأسلحة وتصديرها وشرائها ، الا بموافقة الانجليز على أن يكون للامارة حق شرائها بموافقة بريطانيا من مخزن الأسلحة بمسقط ، أو من أى مكان آخر توافق عليه بريطانيا ، وقد حددت حاجة قطر من السلاح بخمسمائة قطعة سنويا ، كما نصت الوثيقة على عدم تبادل الممثلين السياسيين مع أية دولة أخرى غير بريطانيا . وألا تعقد الامارة أى معاهدة مع أية دولة أخرى ، الى جانب عدم التنازل عن أراضى الامارة أو بيعها أو تأجيرها بأى شكل من الأشكال ، كما تضمنت الوثيقة بالاضافة الى ذلك قيودا اقتصادية ، خاصة بعدم منح امتنازات صيد اللؤلؤ أو أى احتكار آخر لأية دولة أو شركة أجنبية دون موافقة بريطانيا ، كذلك لا يجوز لحاكم قطر أن يفرض رسما على الرعايا الانجليز يزيد عما يدفعه رعاياه ، ولا يتجاوز بأية حال عن ٥٪ ، وأن يسمح باقامة مكاتب للبريد وشبكات برقية فى داخل أراضيه ، واقامة وكيل بريطانى بالبدعة . وتعهد الانجليز أن يبذلوا مساعيهم (الحميدة) فيما لو هوجم حاكم قطر أو رعاياه فى داخل أراضيهم مهاجمة بحرية دون استفزاز[١] .

* * *

وهكذا تمخضت الحرب العالمية الأولى ، عن تدعيم السيطرة البريطانية فضلا عن ايجاد معاهدات لتخطيط الحدود بين نجد ومناطق النفوذ البريطانى فى الشمال، والشمال الشرقى من الجزيرة العربية ، الى جانب ايجاد تسوية بين منطقة النفوذ

---

(١) شركة الزيت العربية الأمريكية ـ ادارة العلاقات ـ شعبة البحث ـ عمان والساحل الجنوبى للخليج الفارسى ص ٣١١ و ٣١٢

البريطانى فى سلطنة مسقط ، ومقاطعات عمان الداخلية ، ولاشك أن ظروف الحرب وما تبعها من اجراءات عسكرية قد ساعدت على تدعيم السيطرة البريطانية فى الخليج العربى ، بصورة تفوق كثيرا عما كانت عليه فى السابق ، وساعدت الظروف الدولية بريطانيا أيضا على تحقيق تلك السيطرة ، اذ أن الدول التى نافستها النفوذ فى الخليج لم تلبث أن خرجت من حلبة التنافس : ألمانيا لهزيمتها فى الحرب ، وروسيا لتغير أوضاع الحكم بها ، ودعوتها الى التخلى عن الأطماع القيصرية . أما فرنسا حليفة بريطانيا ، فقد سلمت لحليفتها بالنفوذ ، وبادرت الى اغلاق قنصليتها فى مسقط فى عام ١٩٢٠ كآخر مظهر من مظاهر النفوذ الفرنسى فى الخليج العربى ، مكتفية بالنفوذ الذى آل اليها فى الشام . وكان لاختفاء الدولة العثمانية سببا فى أن أصبحت السيطرة البريطانية فى الخليج تمتد من شط العرب شمالا ، حتى المحيط الهندى جنوبا . بينما كانت فى وجود الدولة العثمانية وطبقا للاتفاق الانجليزى التركى تنتهى عند شبه جزيرة قطر .

وهكذا حق لكثيرين من الكتاب أن يصفوا الخليج بأنه أصبح بحيرة انجليزية British Lake كما أطلق اللورد كيرزون Curzno وزير الخارجية البريطانية فى رسالة الى برسى كوكس بأنه قد أصبح ملكا على الخليج .

وعند انتهاء الحرب قامت وزارة الخارجية البريطانية باعداد سلسلة من المنشورات باشراف القسم التاريخى فيها ، يشار الى كل منشور منها عادة باسم دليل الصلح ، اذ كان القصد أنه يسترشد بها المندوبون الانجليز فى مؤتمر فرساى الذى عقد فى باريس سنة ١٩١٩ . ويهمنا فى دراستنا الدليل المعنون بالجزيرة العربية والمعنون بالخليج الفارسى .

وهما يؤكدان على النفوذ الذى وصل اليه الانجليز فى الخليج العربى وأن جميع رؤساء الخليج قد خضعوا للسيطرة البريطانية لدرجة أنه بالرغم من قلة التدخل البريطانى فى شئونهم الداخلية فانهم أضحوا خاضعين للنفوذ الانجليزى فيما يتعلق بشئون اتصالاتهم الخارجية وأنهم يحتفظون الى مدى بعيد بعائلاتهم وسلطتهم فى الحكم فقط بفضل اتحادهم مع الانجليز[١] .

---

(١) cf. Handbook Prepared Under the Direction of Great Britain Foreign office-Historical section. Persian gulf No. 67.

أما الصعاب المحلية التى واجهتها بريطانيا من قبل القوى المحلية فى الخليج ، فقد نجحت فى قمعها لفترة مؤقتة بفضل التسويات التى عقدتها مع الرؤساء والتى سبق أن تعرضنا اليها كاتفاقية السيب من مسقط وعمان ومؤتمر العقير بين نجد والكويت والعراق ، كذلك استطاعت أن تقضى على بوادر الحركة الوطنية فى كل من عمان والبحرين والكويت . وبانتهاء الحرب وملابساتها نصل الى بداية مرحلة جديدة من تاريخ الامارات العربية فى الخليج العربى . يمكن أن نطلق عليها مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، وتتميز هذه المرحلة بتدفق الثروة البترولية ، وما ترتب على ذلك من انقلابات سياسية واقتصادية واجتماعية ، نرجو أن نعود اليها فى دراسة تالية .